الفصل الأول

الآثار والإضافات والتجديدات المعمارية الأموية في الشام وبعض أقطار العالم الإسلامي

قيام الدولة الأموية ٤١هـ/٦٦١م

نسب معاوية وولايته على الشام

ينتسب معاوية بن أبى سفيان[١] بن حرب مؤسس الدولة الأموية (٤١ - ١٣٢هـ/ ٦٦١ - ٧٥٠م) إلى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب، وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى، وكنيته: أبو عبد الرحمن[٢].

ولد معاوية بمكة قبل البعثة بخمس سنوات، وأسلم يوم فتح[٣] مكة، واتخذه الرسول ﷺ كاتبًا للوحى، وقد روى الحديث عن أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهم، وعن أخته أم المؤمنين حبيبة بنت أبى سفيان رضى الله عنها، وروى عنه من الصحابة عبد الله بن عباس، ومعاوية بن حديج، وعبد الله بن الزبير، ومروان بن الحكم، وسعيد بن المسيب[٤].

هذا وقد أبلى بنو أمية فى حرب الردة بلاءا حسنًا، وسار بعضهم إلى الشام فاشتهر أمرهم وعظم ذكرهم، ومنهم يزيد بن أبى سفيان الذى ولاه الخليفة أبو بكر الصديق رضى الله عنه (١١-١٣هـ/ ٦٣٢- ٦٣٤م) قيادة أحد الجيوش الأربعة التى أنفذها لفتح الشام، قال الطبرى «وكان بالشام أبو عبيدة وشرحبيل بن حسنة، ويزيد بن أبى سفيان، وعمرو بن العاص، كل رجل منهم على جند وعليهم خالد بن الوليد»[٥].

وذكر البلاذرى فى فتوح البلدان ما نصه «وروى عن الواقدى أن أبا بكر ولى.. يزيد دمشق»[٦].

وفى موضع آخر أورد البلاذرى عند ذكره أمر حمص[٧] «وحدثنى أبو حفص الدمشقى عن سعيد بن عبد العزيز، قال: لما افتتح أبو عبيدة بن الجراح دمشق استخلف يزيد بن أبى سفيان على دمشق، وعمرو بن العاص على فلسطين، وشرحبيل على الأردن»[٨].

وكان الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه (١٣-٢٣هـ/ ٦٣٤-٦٤٤م) قد كتب إلى أبى عبيدة بن الجراح بالولاية على الشام. قال البلاذرى «وكان عمر قد كتب إليه بولايته الشام وأمره الأمراء مع عامر بن أبى وقاص.. وقوم يقولون، إن ولاية أبى عبيدة الشام أتته والناس محاصرون دمشق»[٩].

ويرد ذكر معاوية بن أبى سفيان مقترنًا بأخيه عند ذكر أمر الأردن قال البلاذرى «وقال أبو بشر المؤذن أن أبا عبيدة وجه عمرو بن العاص إلى سواحل الأردن فكثر به الروم وجاءهم المدد من ناحية هرقل وهو بالقسطنطينية فكتب إلى أبى عبيدة يستمده فوجه أبو عبيدة يزيد بن أبى سفيان فسار يزيد وعلى مقدمته أخوه ففتح يزيد وعمرو سواحل الأردن فكتب أبو عبيدة.. وكان لمعاوية فى ذلك بلاء حسن وأثر جميل»[١٠].

وقد أمدنا البلاذرى فى رواية أخرى بتفصيل لهذه السواحل، حيث قال «إن يزيد أتى بعد فتح مدينة دمشق[١١] صيدا وعرقة[١٢] وجبيل[١٣] وبيروت[١٤] وهى سواحل وعلى مقدمته أخوه معاوية ففتحها فتحًا يسير وجلا كثيرًا من أهلها وتولى فتح عرقة معاوية نفسه فى ولاية يزيد»[١٥].

وفاة يزيد بن أبى سفيان

توفى يزيد بن أبى سفيان فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فولى الخليفة عمر رضى الله عنه أخاه معاوية بن أبى سفيان ما كان لأخيه، قال الطبرى عند ذكره عمال عمر رضى الله عنه على الأمصار «وكان عامل عمر بن الخطاب رضى الله عنه - فى السنة التى قتل فيها، وهى سنة ثلاث وعشرين.. على دمشق معاوية بن أبى سفيان»[١٦].

وقد أورد البلاذرى رواية أكثر تفصيلاً، حيث قال: «وقال غير الواقدى: ولى عمر يزيد بن أبى سفيان فلسطين مع ما ولاه من أجناد الشام وكتب إليه يأمره بغزو قيسارية.. فنهض إليها.. فقاتله أهلها ثم حصرهم ومرض فى آخر سنة ثمانى عشرة فمضى إلى دمشق واستخلف على قيسارية أخاه معاوية.. ففتحها وكتب إليه بفتحها فكتب به يزيد إلى عمر. ولما توفى يزيد بن أبى سفيان كتب عمر إلى معاوية بتوليته ما كان يتولاه فشكر أبو سفيان ذلك له وقال: وصلتك يا أمير المؤمنين رحم»[١٧].

وفى رواية أخرى أورد البلاذرى «وحدثنى هشام بن عمار، قال: حدثنى الوليد بن مسلم عن تميم بن عطية قال: ولى عمر معاوية بن أبى سفيان الشام بعد يزيد، وولى معه رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ الصلاة والقضاء: فولى أبا الدرداء قضاء دمشق والأردن وصلاتهما. وولى عبادة قضاء حمص وقنسرين وصلاتهما»[١٨].

وفى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه (٢٣-٣٥هـ/ ٦٤٤ -٦٥٦م) ولى معاوية بن أبى سفيان الشام كلها، قال البلاذرى «فلما استخلف عثمان وولى معاوية الشام وجه معاوية سفيان بن مجيب الأزدى إلى طرابلس»،[١٩] ثم جمع له الجزيرة فى عام ٢٥هـ/ ٦٤٥م، قال البلاذرى عند ذكره فتوح الجزيرة» ثم لما ولى معاوية الشام والجزيرة لعثمان بن عفان رضى الله عنه أمره أن ينزل العرب بمواضع نائية عن المدن والقرى»[٢٠]، وفى موضع آخر أورد عند ذكره غزو الثغور الجزرية «لما استخلف عثمان بن عفان رضى الله عنه كتب إلى معاوية بولايته الشام وولى عمير بن سعد الأنصارى الجزيرة ثم عزله وجمع لمعاوية الشام والجزيرة وثغورهما وأمره أن يغزو شمشاط[٢١] وهى أرمينية الرابعة»[٢٢].

التحصينات الساحلية فى أثناء ولاية معاوية الشام

تطلبت مسيرة الفتح الإسلامى فى بلاد الشام ومصر والمغرب تأمين الخط الساحلى الممتد على طول البحر المتوسط من خلال ترميم وتدعيم الحصون

الرومانية أو البيزنطية من جهة، واستحداث حصون جديدة من جهة أخرى لتكون بمثابة قواعد دفاعية ساحلية فى مواجهة الغارات البيزنطية التى كانت تهدد مسيرة الفتوحات الإسلامية واستقرارها آنذاك.

وتعد المناظر (المراقب ـ الطلائع) من أقدم التحصينات الحربية التى أقامها العرب على الساحل الشامى، وكانت تمثل عنصرًا أساسيًا من عناصر الدفاع عن هذا الساحل، وكانت هذه المناظر تعمل طوال الفصل الدافئ من السنة، وهو الفصل الذى يمتد من إبريل إلى أكتوبر استنادًا إلى الأساس المناخى من جهة، ومواعيد الملاحة الممكنة من جهة أخرى، وذلك بإيقاد النار فى أعلاها، وهو الإيقاد الذى يمتد بسرعة الضوء ومسافة الاشتعال، فلا تمضى ساعة على الأكثر كما يذكر د. محمد عبد الهادى شعيرة حتى تكون جميع المدن الساحلية المحصنة قد علمت بوجود الخطر، وعندئذ يتجمع أهل كل عرافة إلى عريفهم، ويحتشد المرابطون ويسيرون نحو مصدر الضوء حتى يصلوا إلى المنطقة المراد الدفاع عنها[٢٣].

هذا وقد كان تحصين مدن الساحل ضرورة إستراتيجية اقتضتها الظروف السياسية فى ذلك الوقت، فقد رأى المسلمون الإحتفاظ بالحصون الرومانية أو البيزنطية التى وصلت إليهم فى حالة جيدة مثل تحصينات أنطاكية[٢٤] واللاذقية[٢٥] وطرابلس[٢٦]، وكانت أنطاكية أهم هذه الحصون فى العصرين البيزنطى والإسلامى، حيث اتخذها المسلمون قاعدة للدفاع عن الحدود الشامية الشمالية، كما رأوا إعادة بناء وتدعيم الحصون المتهدمة فى ثمانى مدن، وتتمثل هذه الحصون فى بلدة[٢٧]، وأنطرطوس[٢٨]، ومرقية[٢٩]، وبلنياس[٣٠]، وصيدا، وعرقة، وجبيل، وبيروت، كذلك أعادوا بناء مدينتين هما عكا[٣١] و صور[٣٢]، وأضاف د. محمد عبد الهادى شعيرة مدينتين غير المدن الواردة فى المصادر التاريخية هى جبلة[٣٣] و عسقلان[٣٤]، كذلك رأى المسلمون بناء حصون جديدة فقاموا ببناء حصن سفيان الذى شيد بين سنتى ٢٣ و ٢٥هـ/ ٦٤٤و ٦٤٦م، وهو

الحصن الذى ذكره البلاذرى فقال «وجه معاوية سفيان بن مجيب الأزدى إلى طرابلس.. فبنى فى مرج على أميال منها حصنًا سمى حصن سفيان.. وحاصرهم فلما اشتد عليهم الحصار اجتمعوا فى أحد الحصون الثلاثة وكتبوا إلى ملك الروم.. فوجه إليهم بمراكب كثيرة فركبوها ليلاً وهربوا، فلما أصبح سفيان، وكان يبيت كل ليلة فى حصنه ويحصن المسلمين فيه»[٣٥].

وترجع هذه الحصون القديمة والإسلامية إلى عهدى الخليفة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما.

معاوية بن أبى سفيان وقيام الدولة الأموية سنة ٤١هـ/٦٦١م

استقل معاوية بن أبى سفيان ببلاد الشام (شكل ١) بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه فى سنة ٣٥هـ/ ٦٥٦م، وامتنع من المبايعة للخليفة على بن أبى طالب رضى الله عنه الذى بويع بالمدينة فى عام ٣٥هـ/ ٦٥٦م، حيث اتهمه بالهوادة فى أمر الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه، وإيوائه قتلته فى جيشه، وعدم القصاص منهم، وبايعه أهل الشام على المطالبة بدم الخليفة عثمان رضى الله عنه، مما أحدث الخلاف والشقاق بين أهل الشام وأهل العراق[٣٦].

وبعد قبول الخليفة على بن أبى طالب رضى الله عنه للتحكيم وخلعه من الخلافة، وتوليتها معاوية بن أبى سفيان الذى استولى على مصر وأثار الاضطرابات فى العراق والحجاز، ثم مقتل الخليفة على بن أبى طالب فى عام ٤٠هـ/ ٦٦١م، أعلن معاوية بن أبى سفيان الخلافة لنفسه فى بيت المقدس، وإن كانت قد أعلنت له من قبل يوم إجتماع الحكمين[٣٧].

ورث الإمام الحسن بن على رضى الله عنه مقام أبيه فى العراق، فقد بايعه الناس بالخلافة[٣٨]، فسار معاوية بن أبى سفيان إليه فى أهل الشام، وسار الإمام الحسن من الكوفة إلى لقاء معاوية فوصل إلى مسكن ثم إلى المدائن، وجعل قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى على مقدمة جيشه، غير أن الإمام الحسن لما رأى تفرق الأمر عنه كتب إلى معاوية وسلم الأمر إليه.

قال ابن الأثير «ولما اصطلحا، وبايع الحسن معاوية دخل معاوية الكوفة وبايعه الناس»[٣٩].

وفى ذلك قال الطبرى فى أحداث عام ٤١هـ/ ٦٦١م «فمما كان فيها من ذلك تسليم الحسن بن على عليه السلام الأمر إلى معاوية ودخول معاوية الكوفة، وبيعه أهل الكوفة معاوية بالخلافة»[٤٠]، وبذلك قامت الدولة الأموية فى عام ٤١هـ/ ٦٦١م.

دمشق وعمائرها فى أثناء خلافة معاوية

ارتبط الأمويون بالشام، حيث اشتهر أمرهم وعظم ذكرهم منذ ولاية يزيد بن أبى سفيان ثم معاوية بن أبى سفيان، وقد غدت دمشق منذ عام ٤١هـ/ ٦٦١م عاصمة وحاضرة العالم الإسلامى، بعد أن انتقلت العاصمة من المدينة المنورة والكوفة إليها، فقد سيطر الأمويون على دولة مترامية الأطراف عاصمتها وحاضرتها دمشق (شكل ٢).

الموقع

تقع مدينة دمشق (شكل ٣) فى أرض مستوية على خط طول ٣٠ شرقى غرينتش، وعلى درجة عرض ٣٣ شمالاً إلى الشرق من المنحدرات الشرقية لجبال لبنان الشرقية، وتتكون من ثلاثة أقسام طبيعية هى المنطقة السهلية وتشمل الغوطة والمرج، ونهر بردى بفروعه وأقنيته، والمنطقة الجبلية المحيطة بالمدينة، ويشرف على دمشق أيضًا من جهة الغرب جبل الشيخ ويعرف بجبل الثلج، بينما تتصل من الشرق والجنوب ببادية الشام وهى منطقة مفتوحة، وهو الأمر الذى يدل على أنها تمتعت بموقع جغرافى فريد، فالأرض الخصبة، والمياه المتدفقة جعلت غوطتها من أغنى البلاد فى إنتاجها الزراعى، وإنفتاحها من الشرق على السهول الموصلة إلى الفرات والعراق، ومن الغرب وجود المناطق الجبلية التى سيطرت على طريق التجارة الموصل إلى ساحل البحر المتوسط حيث الاتصال بأوروبا، إضافة إلى طريق الموصل شمالاً إلى حلب وآسيا الصغرى جعلها مركزًا تجاريًا هامًا لاستقبال البضائع وتصديرها[٤١].

هذا وقد انعكس موقع المدينة بشكل واضح على مناخها، فوجود الجبال فى غربها سواءً كانت جبال لبنان الشرقية القريبة منها أم جبال لبنان الغربية شكلت حاجزًا مزدوجًا منع وصول التأثيرات البحرية إلى المدينة على الرغم من أنها لا تبعد أكثر من ٨٠ كم عن البحر المتوسط، ومن جهة أخرى فإن موقع دمشق المفتوح باتجاه الشرق جعلها تشارك بادية الشام فى جفافها فيتصف صيفها بالجفاف التام، وتتأثر الحرارة بعدة عوامل أهمها الموقع الفلكى للمدينة، حيث تقع على خط ٣٠ شرقًا و٣٣ شمالاً، وترتفع عن سطح البحر ٧٠٠م تقريبًا، ويبلغ متوسط الحرارة السنوى فى دمشق ١٨م، وتتعرض المنطقة لتأثيرات المنخفضات الجوية فى فصل الشتاء مما يجعل الجو متقلبًا بما يتنابه من رياح عاصفة وطقس مضطرب وأمطار شديدة، كما تتعرض للرياح الغربية والجنوبية الغربية، بينما تتعرض فى الفصول الانتقالية للرياح الشرقية المحملة بالرمال والأتربة(٤٢).

وتحتل الأمطار مكانة هامة بين عناصر المناخ لأهميتها فى الحياة الاقتصادية، وتتصف المنطقة بأن أمطارها شتوية كميتها قليلة فى دمشق، حيث يتراوح معدلها السنوى بين ٢١٥ ـ ٢٢٥ مليمترًا، وقد عوض وجود نهر بردى وفروعه عن قلة الأمطار الشتوية فى دمشق، وبهذا يمكن القول بأن مناخ دمشق حار جاف صيفًا، وبارد معتدل البرودة شتاءً، مع أمطار متوسطة وفصل شتوى قصير(٤٣).

هذا وتعتمد دمشق على ثلاثة مصادر رئيسية للمياه هى الأمطار الشتوية ومياه الأنهار، ومياه العيون والينابيع، أما فيما يتعلق بالسكان فقد استوطن العرب بلاد الشام منذ الألف الأولى قبل الميلاد، وتزايدوا منذ القرن الثالث الميلادى، خاصة فى المنطقة الجنوبية الغربية من بلاد الشام، وتوالى قدوم القبائل العربية إلى الشام بعد الفتح العربى، وتركزت خارج مدينة دمشق، وحملت الأماكن التى نزلت بها بطون القبائل العربية أسماء النازلين بها منها لؤلؤة الكبيرة ولؤلؤة الصغيرة، وقينية، وصنعاء والحميريين ومنازل بنى رعين فى الجهة الغربية، وسطراو الفراديس والأوزاع والصرف ومرج شعبان من الجهة الشمالية، والراهب ومحلة السفليين والقطائع وفندق بنى عبد المطلب من الجنوب(٤٤).

ونزل الأمويون مدينة دمشق فى العصر الراشدى (شكل ٤)، وبنوا فيها قصورهم ومنازلهم ومنها خضراء معاوية التى أقامها معاوية بن أبى سفيان فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه، عندما كان واليًا على دمشق، ثم أصبحت دارًا للإمارة وبقيت قصرا للخلافة الأموية بعد إعلان الدولة الأموية فى عام ٤١هـ/ ٦٦١م، وقد استقر توزيع القبائل العربية فى الشام فى مطلع العصر الأموى بصورة عامة، واستمر بعد ذلك، ففى دمشق كانت غسان القبيلة الأولى، وكانت فيها أيضا قبائل قضاعة وكندة وقيس، وعلى ضوء هذا الاستقرار فقد توزعت القبائل العربية فى دمشق والقرى المحيطة بها فى الغوطة والمرج ـ فغلب على الغوطة قبائل من غسان وكلب وقيس وربيعة فكان بها من كلب عامر بن الحصين بن عليم وابن رباب المعقلى، وكان نزول اليمانية فى دمشق منذ عهد معاوية بن أبى سفيان (٤١-٦٠هـ/ ٦٦١-٦٧٩م)، فقد سكنها بنو كلب ونزلوا فى قرية المزة التى نسبت إليهم.

ونزلت جماعة من اليمن فى بانياس، وجماعة أخرى بين المزة ودمشق فى قرية عرفت بصنعاء، وكانت داريا أكبر قرى اليمانية فى الغوطة فى العصر الأموى، ونزل معهم فيها جماعة من عبس وخولان وجماعة من رجب، كما كانت لهم قرى متعددة منها بيت أبيات، وبيت الآبار وقرى جرش وجسرين وداعية وزملكا وعقربا وعين ثرما وكفر سوسية وكوكبا، واستوطنت جماعة منهم فى حوران والبثنية، أما قيس فكانت لهم قرى صكا وبراق وبلاس وكفر بطنا والقطيفة، كما نزلت جماعة منهم فى حوران والبثنية، واستقر فى دمشق أيام الأمويين جماعة من بنى سليم، وبنو محارب بن فهر، وفزارة، والسكون، وقوم يقال لهم بنو ذو الدبس، ونفر قليل من جهينة وذبيان والقين ولخم[٤٦].

وأقامت فيها جماعة من بنى مرة، وفى القرن ٢هـ/ ٨م نزل السكاسك من ولد السكسك بن أشرس فى بيت لهيا شرقى دمشق وبنوا فيها المنازل والقصور، وأقام بنو ضبة فى جبل سنى، وبنو الحارث بن كعب بن مذحج مع جماعات من عك وهمذان فى الفلجة، واستقرت فى دمشق أيام الأمويين بعض القبائل الربعية،

فكانت تغلب بدومة وحرستا من قرى غوطة دمشق، ونزل قوم من حمير فى قرية نسبت إليهم على نهر قنوا عند حى الشويكة، أما منازل بنى رعين فكانت قرب المزة غربي صنعاء، وأقامت جماعة من زبيد بغوطة دمشق والمرج، وكان بنو تغلب بن وائل فى قريتى دومة وحمنا(٤٧).

أما فيما يتعلق بمواد البناء فإنه نظرًا لندرة الحجارة وبعد المقالع الحجرية نسبيًا عن مدينة دمشق، فإن العمارة وكثرة المنشآت اعتمدت على مادة الطين لإقامة الجدران. فكانت الأبنية الحجرية قليلة، واقتصرت على المنشآت المعمارية المشيدة من قبل الخلفاء والأمراء والأثرياء، وقد شهدت دمشق خلال العصر الأموى أوج الازدهار العمرانى، مما جعل منها مدينة متميزة وحاضرة تليق أن تكون عاصمة لدولة الإسلام(٤٨).

عمائر دمشق فى أثناء خلافة معاوية بن أبى سفيان

أولا: المسجد الجامع (شكل ٥ ، ٦)

فيما يتعلق بالجامع الأموى الذى يعد من روائع العمارة الإسلامية فى العصر الأموى، فقد شيد المسجد على أنقاض معبد وثنى قديم كان قد تحول إلى كنيسة القديس يوحنا قال ابن جبير «والوليد هذا هو الذى أخذ نصف الكنيسة الباقية منه فى أيدى النصارى وأدخلها فيه، لأنه كان قسمين: قسما للمسلمين وهو الشرقى، وقسما للنصارى وهو الغربى، لأن أبا عبيدة بن الجراح، رضى الله عنه، دخل البلد من الجهة الغربية، فانتهى إلى نصف الكنيسة، وقد وقع الصلح بينه وبين النصارى، ودخل خالد بن الوليد، رضى الله عنه، عنوة من الجانب الشرقى وانتهى إلى النصف الثانى وهو الشرقى، فاجتازه المسلمون وصيروه مسجدًا، وبقى النصف المصالح عليه وهو الغربى كنيسة بأيدى النصارى، إلى أن عوضهم منه الوليد، فأبوا ذلك، فانتزعه منهم..»(٤٩).

وكان معاوية بن أبى سفيان قد رغب فى زيادة مساحة المسجد، وذلك من خلال إدخال النصف الثانى المصالح عليه وهو الغربى، وهو النصف الذى يمثل

كنيسة القديس يوحنا إلى المسجد فأبى النصارى، وفى ذلك قال البلاذرى «وحدثنى مصعب عن أبيه عن مالك عن نافع عن أسلم بمثله، قالوا: ولما ولى معاوية بن أبى سفيان أراد أن يزيد كنيسة يوحنا فى المسجد بدمشق فأبى النصارى ذلك فأمسك. ثم طلبها عبد الملك بن مروان فى أيامه للزيادة فى المسجد وبذل لهم مالاً فأبوا أن يسلموها إليه..»[٥٠].

ثانيا: قصر الخضراء

يعد قصر الخضراء الذى شيده معاوية بن أبى سفيان من روائع العمارة المدنية بدمشق، يقع هذا القصر إلى الجنوب من سور الجامع ولا يفصلها عنه إلا جدار ترك فيه باب لمرور الخليفة من منزله إلى مقصورة الجامع وأمام القصر اصطبلات أطلق عليها «دار الخيل»، وبدأ معاوية عمارته فى أثناء ولايته على الشام (٢٣-٣٥هـ/ ٦٤٣ - ٦٥٥م) فى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه، ثم أعاد تجديد عمارته فى أثناء خلافته (٤١ - ٦٠هـ/ ٦٦١-٦٨٠م)، وقد عرف بقصر الخضراء لأن القبة والجدران طليت باللون الأخضر، ومن ثم مر القصر بمرحلتين من العمارة، وبقى القصر مقراً للأمويين حتى زمن الخليفة سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ/ ٧١٥ - ٧١٧م)، حيث اتخذ مقراً آخر بدلاً من الخضراء، فشيد قصراً بدرب محرز فى موضع سقاية جيرون، وجعل له قبة صفراء[٥١].

وقد ذكر لنا اليعقوبى هذا القصر بقوله «ومنازل بنى أمية وقصورهم أكثر منازلها، وبها خضراء معاوية، وهى دار الإمارة ومسجدها، الذى ليس فى الإسلام أحسن منه بالرخام والذهب، بناه الوليد بن عبد الملك بن مروان فى خلافته»[٥٢]

وصف دمشق من خلال نص اليعقوبى

قال اليعقوبى «ومدينة دمشق مدينة جليلة قديمة، وهى مدينة الشأم فى الجاهلية والإسلام، وليس لها نظير فى جميع أجناد الشأم فى كثرة أنهارها

وعمارتها، ونهرها الأعظم يقال له بردا. افتتحت مدينة دمشق فى خلافة عمر بن الخطاب سنة أربع عشرة، افتتحها أبو عبيدة بن الجراح من باب يقال له باب الجابية صلحًا، بعد حصار سنة ودخل خالد بن الوليد من باب لها يقال له باب الشرقى بغير صلح.. وكانت دمشق منازل ملوك غسان، وبها آثار لآل جفنة، والأغلب على مدينة دمشق أهل اليمن، وبها قوم من قيس، ومنازل بنى أمية وقصورهم أكثر منازلها، وبها خضراء معاوية، وهى دار الإمارة ومسجدها، الذى ليس فى الإسلام أحسن منه بالرخام والذهب، بناه الوليد بن عبد الملك بن مروان فى خلافته ولجند دمشق من الكور: الغوطة وأهلها غسان وبطون من قيس، وبها قوم من ربيعة، وحوران ومدينتها بصرى، وأهلها قوم من قيس من بنى مرة خلا السويدا، فإن بها قوما من كلب. والبثنية ومدينتها أذرعات، وأهلها قوم من يمن ومن قيس. والظاهر: ومدينتها عمان. والغور: ومدينتها ريحا، وهاتان المدينتان أرض البلقاء، وأهلها أخلاط من الناس، وبها القرية المعروفة بمؤتة التى قتل فيها جعفر بن أبى طالب، وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة. والشراة: ومدينتها أذرح، وأهلها موالى بنى هاشم، وبها الحميمة منازل على بن عبد الله بن العباس.. والجولان: ومدينتها بانياس، وأهلها قوم من قيس، أكثرهم بنو مرة، وبها نفر من أهل اليمن. وجبل سنير: وأهلها بنوضبة وبها قوم من كلب. وبعلبك: وأهلها قوم من الفرس، ومن أطرافها قوم من اليمن. وجبل الجليل: وأهلها قوم من كاملة. ولبنان صيدا: وبها قوم من قريش ومن اليمن. ولجند دمشق من الكور على الساحل كورة عرقة، ولها مدينة قديمة، فيها قوم من الفرس ناقلة، وبها قوم من ربيعة من بنى حنيفة، ومدينة أطرابلس: وأهلها من الفرس كان معاوية بن أبى سفيان نقلهم إليها ولهم مينا عجيب يحتمل ألف مركب. وجبيل وصيدا وبيروت: وأهل هذه الكور كلها قومٌ من الفرس نقلهم إليها معاوية بن أبى سفيان. وكل كورة دمشق افتتحها أبو عبيدة بن الجراح فى خلافة عمر بن الخطاب سنة أربع عشرة وخراج دمشق سوى الضياع يبلغ ثلثمائة ألف دينار»[٥٣].

يروى لنا البلاذرى أن معاوية بن أبى سفيان اهتم بترميم وتدعيم الحصون الساحلية كلها بالمرابطة والعمارة، حيث كان على دراية تامة بها وبأحوالها، ويرد هذا الخبر مطلقًا من أى قيد، ويفيد وروده على هذا النحو كما يذكر د. محمد عبد الهادى شعيرة أن الاهتمام كان شاملاً، وأن الترميم وإعادة البناء كان عملية جارية مستمرة، وأن عملية البناء إقترنت بعملية أخرى هى دعم الرباطات، فقد كتب معاوية بعد وفاة يزيد بن أبى سفيان إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه يصف له حال السواحل، قال البلاذرى «وحدثنى أبو حفص عن سعيد بن عبد العزيز، قال: أدركت الناس وهم يتحدثون أن معاوية كتب إلى عمر بن ا لخطاب بعد موت أخيه يزيد يصف له حال السواحل: فكتب إليه فى مرمة حصونها وترتيب المقاتلة فيها وإقامة الحرس على مناظرها وإتخاذ المواقيد لها، ولم يأذن له فى غزو البحر وأن معاوية لم يزل بعثمان حتى أذن له فى الغزو بحراً وأمره أن يعد فى السواحل إذا غزا أو أغزى جيوشا سوى من فيها من الترتب أن يقطع الرتب أرضين ويعطيهم ما جلا عنه أهله من المنازل ويبنى المساجد ويكبر ما كان إبتنى منها قبل خلافته، قال الوضين: ثم أن الناس بعد انتقلوا إلى السواحل من كل ناحية»(٥٤).

ومن الترميمات التى قام بها معاوية بن أبى سفيان ترميم عكا وصور قال البلاذرى «. . عن مشايخ من أهل دمشق، قالوا: رم معاوية عكا عند ركوبه منها إلى قبرص: ورم صور ثم أن عبد الملك بن مروان جددهما»(٥٥).

وفى ذلك قال ياقوت الحموى «وكان لمعاوية فى فتحها وفتح السواحل أثر جميل، ولما ركب منها إلى غزوة قبرص رمها وأعاد ما تشعث منها وكذلك فعل بصور، ثم خربت فجددها هشام بن عبد الملك»(٥٦).

أما فيما يتعلق بالصناعة فى عكا وصور فقد أورد البلاذرى «وحدثنى محمد بن سهم الأنطاكى عن مشايخ أدركهم قالوا: لما كانت سنة تسع وأربعين خرجت

الروم إلى السواحل وكانت الصناعة بمصر فقط فأمر معاوية بن أبى سفيان بجمع الصناع والنجارين فجمعوا ورتبهم فى السواحل وكانت الصناعة فى الأردن بعكا. . فنقل هشام بن عبد الملك الصناعة إلى صور واتخذ بصور فندقا ومستغلا»[٥٧].

وفى ذلك قال ياقوت الحموى «وكانت فيها صناعة بلاد الأردن، وهى محسوبة من حدود الأردن، ثم نقل هشام الصناعة منها إلى صور»[٥٨].

ولدينا فوق ذلك عدة نصوص تتعلق بإعادة بناء ما تهدم من حصون فى عهد معاوية بن أبى سفيان، فقد أعاد بناء ثلاثة حصون هى: انطرطوس ومرقية وبلنياس، قال البلاذرى «وحدثنى سفيان بن محمد، قال حدثنى أبى وأشياخنا، قالوا: فتح عبادة والمسلمون أنطرطوس: وكان حصنا ثم جلا عنه أهله فبنى معاوية أنطرطوس ومصرها وأقطع بها القطائع، وكذلك فعل بمرقية وبلنياس»[٥٩].

وقد أمر معاوية بن أبى سفيان بإهمال حصن بلدة الذى تهدم، وشيد بالقرب منه حصنًا آخر هو حصن جبلة الذى يعد الثانى من إنشاء المسلمين بعد حصن سفيان، قال البلاذرى «ورد عبادة والمسلمون السواحل ففتحوا مدينة تعرف ببلدة على فرسخين من جبلة عنوة، ثم أنها خربت وجلا عنها أهلها فأنشأ معاوية بن أبى سفيان جبلة وكانت حصنا للروم جلوا عنه عند فتح المسلمين حمص وشحنها. وحدثنى سفيان بن محمد البهرانى عن أشياخه قالوا: بنى معاوية لجبلة حصنا خارجا من الحصن الرومى القديم»[٦٠].

وفى ذلك يقول ياقوت الحموى «وجبلة أيضًا: قلعة مشهورة بساحل الشام من أعمال حلب قرب اللاذقية، قال أحمد بن يحيى بن جابر: لما فرغ عبادة بن الصامت من اللاذقية. . ورد فيمن معه على مدينة تعرف ببلدة على فرسخين من جبلة، ففتحها عنوة ثم أنها خربت وجلا عنها أهلها، فأنشأ معاوية جبلة وكانت

حصنا للروم جلوا عنه عند فتح المسلمين حمص، وشحنها بالرجال، وبنى معاوية بجبلة حصنًا خارجًا من الحصن الرومى القديم»[٦١].

ومن الإشارات التى تتعلق بالعمارة الحربية ما أورده البلاذرى عند ذكره مدينة مرعش ونصه «وكان معاوية بنى مدينة مرعش وأسكنها جندا»[٦٢].

هذا وقد اهتم معاوية بن أبى سفيان بالمراكز الجنوبية للمنطقة الثغرية وهى أنطاكية وقنسرين[٦٣] ومنبج[٦٤]، كما اهتم بحصون الفرات وهى سميساط[٦٥]، وملطية[٦٦]، وشمشاط[٦٧]، وكمخ[٦٨]، وقاليقلا[٦٩] (أرضروم)، وهى حصون استولى عليها العرب فى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه عندما فتحوا أرمينية[٧٠].

كما شيد معاوية فى المنطقة الوسطى الواقعة بين الخطين الساحلى والنهرى إلى جانب مرعش الذى تقدم ذكره حصن الحدث[٧١]، وكان كما يذكر د. محمد عبد الهادى شعيرة أول من بناهما، فهما حصنان إسلاميان[٧٢].

ذكر بعض أعماله (مناقشة حول مقاصير الصلاة)

قال الطبرى «وكان أول من اتخذ الحرس»[٧٣].

كما أورد الطبرى «وكان أول من اتخذ ديوان الخاتم»[٧٤].

كذلك أورد «وخزم الكتب، ولم تكن تخزم»[٧٥]، وفى ذلك أورد ابن الأثير «وحزم الكتب، ولم تكن تحزم»[٧٦]. وقد أورد ابن الأثير أيضا أنه «أول خليفة بايع لولده فى الإسلام، وأول من وضع البريد»[٧٧].

مقاصير الصلاة

فيما يتعلق بمقاصير الصلاة فى المسجد فقد أورد ابن الأثير نصًا مهمًا يتعلق بالمقصورة فى عهد معاوية بن أبى سفيان، حيث قال «وأول من عمل المقصورة فى المساجد»[٧٨].

وفى تفصيل أكثر أورد «وكان معاوية قد عملها بالشام لما ضربه الخارجى»[٧٩].

المقصورة فى اللغة من قصر الشىء، يقصره قصرًا أى حبسه وتجمع على مقاصير ومنه مقصورة الجامع وقد سميت المقصورة مقصورة لأنها قصرت على الإمام دون الناس(٨٠).

هذا وقد تنوعت المقاصير، وتعددت وظائفها فى العصر الإسلامى، حيث خصصت مقاصير خاصة لصلاة النساء فى المساجد الجامعة، وهى غالبا ما تقع فى مؤخرة المسجد أو فى الظلتين الجانبيتين وكانت لها مداخل خاصة بها تفتح عليها مباشرة وهذا النوع كما يذكر د. محمد محمد الكحلاوى من المقاصير يعتبر أقدم عهداً من مقصورة الإمام، كما عرف العصر الإسلامى أنواعًا أخرى من المقاصير لم تكن مخصصة للصلاة، بل كانت لها وظائف أخرى ارتبطت فى مضمونها بعمارة المسجد ومنها المقاصير الضريحية التى تحيط بتراكيب الدفن، والمقاصير العلمية كالتى بالجامع الأموى بدمشق، والتى كانت مخصصة لطلاب المذهب الحنفى، حيث كانوا يجتمعون فيها للتدريس، كما عرفت المساجد مقاصير الخزائن كالتى كانت فى الأزهر فى العصر المملوكى البحرى، خاصة فى عهد السلطان الناصر حسن بن قلاوون، ويعرف هذا النوع من المقاصير فى مساجد الغرب الإسلامى باسم «الهرى» أو «الهرارى»، وقد خصص هذا النوع لحفظ أموال المسلمين، ومن مقاصير المساجد أيضًا مقاصير الكتب كالتى فى جامع الزيتونة، ومنها أيضًا مقاصير الفقراء ومقاصير الصوفية أما المقاصير التى أتناولها هنا فى العصر الأموى فهى مقاصير صلاة الإمام أو الخليفة، وهى مقاصير تمثل أهمية كبيرة فى داخل المسجد كما يذكر د. محمد محمد الكحلاوى، حيث أوجدها المعمار المسلم فى مقدمة المسجد من جهة القبلة أمام المحراب فهى عبارة عن مساحة محددة تشغل جزءً من مساحة المسجد الداخلية ومحاطة بسياج، وهى إذا وجدت فى داخل ظلة القبلة فلابد أن تكون ملاصقة لجدار القبلة من أمام المحراب، ويعتبر جدار القبلة بذلك ضلعًا من أضلاعها، وهى فى هذا الموضع تتقدم المحراب، وتحيط بالمنبر، أما إذا وجدت المقصورة فى الصحن فهى حتمًا

تقع فى مواجهة المحراب أمام المحراب الخشبى الذى يقع على محور المحراب الرئيسى، ويمكن أن تركب المقصورة ملاصقة بجدار القبلة على جانبى المحراب(٨٣).

وفيما يتعلق بنشأة المقصورة فقد تقدم أن أول من عملها فى المساجد معاوية بن أبى سفيان فى نص أورده ابن الأثير، والواقع أن المؤرخين اختلفوا حول نشأه هذا النوع من المقاصير كما اختلفوا حول نسبتها فمنهم من نسبها إلى الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه، ومنهم من نسبها إلى الخليفة معاوية بن أبي سفيان كما تقدم ومنهم من نسبها إلى والى العراق زياد بن أبيه (٤٥ - ٥٥هـ/ ٦٦٥-٦٧٥م)، ونسبها آخرون إلى الخليفة مروان بن الحكم، أما فيما يتعلق بالخليفيتين عثمان بن عفان ومعاوية بن أبى سفيان، فقد أورد السمهودى روايتين إحداهما نقلا عن ابن زبالة أن أول من أنشأ المقصورة هو عثمان بن عفان رضى الله عنه وإنه كانت فيها كوى ينظرى الناس منها إلى الامام، وكان قد وضعها خوفًا على نفسه بعد مقتل الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو يصلى، والأخرى نقلاً عن مسلم أن أول من اتخذ المقصورة فى المسجد هو معاوية بن أبى سفيان عندما تعرض لمحاولة قتل على يد واحد من الخارجين يدعى بالخارجى، ويتفق هذا الرأى وما ذكره ابن الأثير وتقدم ذكره(٨٤).

ويذكر ابن خلدون أن معاوية بن أبى سفيان يعد أول من اتخذ المقصورة فى المسجد وحرس الليل وقيام الشرطة على رأسه إذا سجد، ويؤكد المؤرخ المقريزى ما ذكره ابن خلدون من جهة، وما ذكره السمهودى نقلا عن مسلم من جهة أخرى، حيث يذكر عند ذكره الجامع العتيق ما نصه «وأول ما عملت المقاصير فى الجوامع فى أيام معاوية بن أبى سفيان سنة أربع وأربعين..»(٨٥).

وقد أورد البلاذرى فى فتوح البلدان أن زيادًا هو أول من اتخذ المقصورة فى مسجد البصرة وذلك نقلا عن الوليد بن هشام بن قحذم، حيث قال «لما بنى زياد

المسجد جعل لصفة المقدمة خمس سوار وبنى منارته بالحجارة، وهو أول من عمل المقصورة»[٨٦].

وذكر بعض المؤرخين أن الخليفة مروان بن الحكم يعد أول من أحدث المقصورة فى المسجد، وذلك حينما تعرض للقتل وهو قائم فى المسجد ليصلى على يد أحد أهل تهامة ويدعى دب، وقد أكد ابن رشد على نص السمهودى نقلاً عن ابن حنطب، واعتبر أن الخليفة مروان هو أول من اتخذها حين طعنه اليمانى فصنع مروان لنفسه مقصورة من طين وجعل فيها تشبيكات[٨٧].

ويعلق د. محمد محمد الكحلاوى على الروايات التاريخية السابقة قائلاً إن الدافع الأمنى هو الذى دفع الخلفاء لصناعة مثل هذه المقاصير، وذلك استنادًا إلي ما أصاب الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى مقتله وهو قائم يصلى فى المسجد، ويرى أن الحجج التى أوردها المؤرخون قد تساوت حول كل من الخليفة عثمان بن عفان ومعاوية بن أبى سفيان ومروان بن الحكم إلا أن هناك حقيقة أخرى وردت فى نص لابن الأثير فحواها أن صحابيًا يدعى السائب بن حباب قد شغل وظيفة من قبل الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه وهى وظيفة صاحب المقصورة، وجعل له فيها راتبًا شهريًا يقدر بدينارين وعلى هذا يضيف د. الكحلاوى أن السائب بن حباب يعتبر هو أول من شغل وظيفة صاحب المقصورة، حيث لم يأت المؤرخون بذكر واحد قد تولى هذه الوظيفة، بل ولم يرد اسم الوظيفة نفسها لا فى أيام الخليفة معاوية بن أبى سفيان ولا فى أيام الخليفة مروان بن الحكم مما يرجح نسبة المقصورة إلى الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه، والتى اتخذها عند تجديده لمسجد الرسول ﷺ بالمدينة[٨٨].

وقد أوضح الفقهاء رأى الدين فى اتخاذ المقاصير للصلاة، فقد أجمعوا على أنها لم تكن على عهد رسول الله ﷺ وإنما أحدثها الخلفاء بسبب الخوف على أنفسهم وأفتوا بأن اتخاذها فى المسجد مكروه لأنها تفرق الصفوف، وتحول دون التمكن من رؤية الإمام وحكمها حكم المنبر لقطعها الصف الأول، مما دفع

الخليفة العباسى المهدى إلى أن يأمر ولاته فى عام ١٦١هـ/ ٧٧٧م برفع المقاصير من المساجد وبتقصير المنابر على قدر منبر الرسول ﷺ، وفى هذا يذكر المقريزى «وفى سنة إحدى وستين ومائة أمر المهدى بنزع المقاصير من مساجد الأمصار وبتقصير المنابر فجعلت على مقدار منبر رسول الله ﷺ ثم أعيدت بعد ذلك»(٨٩).

يزيد بن معاوية ٦٠ - ٦٣هـ/ ٦٨٠ - ٦٨٤م

ولد يزيد بن معاوية من ميسون بنت بحدل بن أنيف بن وجة بن قنافة بن عدى بن زهير بن حارثة بن جناب الكلبى، وهى امرأة بدوية تزوجها معاوية بن أبى سفيان قبل أن يلى الخلافة، ولما مات معاوية بايعه الناس بالخلافة، قال ابن الأثير «أول خليفة بايع لولده فى الإسلام»(٩٠).

قال الطبرى عند ذكره خلافة يزيد بن معاوية وأحداث سنة ٦٠ هـ/ ٦٨٠م» وفى هذه السنة بويع ليزيد بن معاوية بالخلافة بعد وفاة أبيه»(٩١)، فقد كتب يزيد إلى سائر الأمصار بتوليته فبايعته، إلا أنه امتنع عن مبايعته الحسين بن على، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن العباس، وعبد الله بن عمر، ثم بايعه منهم عبد الله بن العباس، وعبد الله بن عمر، وامتنع الحسين بن على، وعبد الله بن الزبير، وهما من النفر الذين رفضوا بيعته بولاية العهد، وتمكنا من اللحاق بمكة(٩٢).

وقد شهدت سنة ٦١هـ/ ٦٨٠م مقتل الإمام الحسين بن على رضى الله عنه، كما شهدت سنة ٦٤هـ/ ٦٨٥م إحتراق الكعبة قال الطبرى «ثم أقام مع ابن الزبير فى ذلك الحصار حتى يوم أحرق البيت، فإنه أحرق يوم السبت لثلاث مضين من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين»(٩٣).

احتراق الكعبة المشرفة فى أثناء الحصار الأول

أورد ابن الأثير روايتين فى إحتراق الكعبة المشرفة فى أثناء الحصار الأول، حيث قال «ثم أقاموا عليه يقاتلونه بقية المحرم وصفر كله، حتى إذا مضت ثلاثة

أيام من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين رموا البيت بالمجانيق، وحرقوه بالنار»[٩٤].

أما الرواية الثانية فنصها «وقيل: إن الكعبة احترقت من نار كان يوقدها أصحاب عبد الله حول الكعبة، وأقبلت شررة هبت بها الريح، فاحترقت ثياب الكعبة، واحترق خشب البيت»[٩٥].

ويعلق ابن الأثير قائلا «والأول أصح، لأن البخارى قد ذكر فى صحيحه أن ابن الزبير ترك الكعبة ليراها الناس محترقة، يحرضهم على أهل الشام»[٩٦].

عمارة الكعبة المشرفة

لما رفع الحصار عن مكة عمل ابن الزبير على إعادة بناء الكعبة، فقام بهدمها من أساسها، على الرغم من معارضة أكثر الناس، وتلكؤ العمال، حتى أنه خرج معظم أهل مكة خوفًا، فما كان من عبد الله بن الزبير إلا أن بدأ هدمها بنفسه، وقد جلب لعمارتها كل ما تحتاج إليه من صنعاء باليمن، فجعل بناءها على قواعدها الأولى التى وضعها الرسول ﷺ، فقام بتوسيع الجوانب وأقام العمد، ورد الركن الأسود موضعه بالداخل، وزخرفها بالفسيفساء والرخام، كما جعل لها بابين أحدهما خصص للدخول، وخصص الآخر للخروج، فلما فرغ ابن الزبير من تشييدها خلق جدرانها من الداخل والخارج بالمسك والعنبر، وكساها بالديباج، وفى أثناء الهدم والبناء لم يبق ابن الزبير الناس بدون قبلة أو مطاف، وإنما نصب حول الكعبة الخشب، وجعل عليها الستور، أما الحجر الأسود فلفه فى حرير ووضعه فى بيته فى صندوق إلى أن أعاده[٩٧].

قال الطبرى «هدم ابن الزبير الكعبة، وكانت قد مالت حيطانها مما رميت به من حجارة المجانيق.. فذكر محمد بن عمر الواقدى.. هدم ابن الزبير البيت حتى سواه بالأرض، وهز أساسه. وأدخل الحجر فيه، وكان الناس يطوفون من وراء الأساس، ويصلون إلى موضعه، وجعل الركن الأسود عنده فى تابوت فى سرقة

من حرير وجعل ما كان من حلى البيت وما وجد فيه من ثياب أو طيب عند الحجبة فى خزانة البيت، حتى أعادها لما أعاد بناءه»[٩٨].

توفى يزيد بن معاوية فى عام ٦٤هـ/ ٦٨٤م، قال ابن الأثير «وفى هذه السنة توفى يزيد بن معاوية بحوارين من أرض الشام، لأربع عشرة خلت من شهر ربيع الأول.. وقيل توفى فى ربيع الأول سنة ثلاث وستين... والأول أصح»[٩٩]، وقد أخذ يزيد المبايعة لأكبر أبنائه، الذى سماه معاوية، فبايعه جميع الناس بالآفاق إلا ابن الزبير وأهل مكة[١٠٠].

معاوية بن يزيد (معاوية الثانى ٦٤هـ/ ٦٨٤م)

أخذ يزيد بن معاوية البيعة لأكبر أبنائه معاوية بن يزيد، فبايعه جميع الناس بالآفاق إلا ابن الزبير وأهل مكة، وقد كان معاوية الثانى صغير السن، ولم يتجاوز عمره حينما استخلف سبع عشرة سنة، قال ابن الأثير «فى هذه السنة بويع لمعاوية بن يزيد بالخلافة بالشام، ولعبد الله بن الزبير بالحجاز»[١٠١].

وقد استطاع عبد الله بن الزبير أن يظفر بمبايعة الحجاز والعراق واليمن ومصر، وولى عليها عمالاً من قبله، وزاد من اضطراب الأحوال بالنسبة للخلافة الأموية اضطراب أحوال الشام نفسها بسبب العداء بين عنصرى سكانها العرب المعروفين بأهل الشام، وهما اليمنية والقيسية، وقد نسبت اليمنية إلى موطنهم الأصلى، وهم قبائل عديدة أشهرها فى العصر الأموى قبيلة كلب، أما القيسية فقد وردت قبائلهم فى أثناء الفتح الإسلامى من بدو الحجاز بخاصة، وقد بدأ الأمويون فى تقريب يمانية الشام من دون القيسية منذ عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه، ولم يلبث معاوية أن توفى فى نفس العام الذى توفى فيه أبوه يزيد بن معاوية وهو عام ٦٤هـ/ ٦٨٤م[١٠٢].

مروان بن الحكم ٦٤ - ٦٥هـ/ ٦٨٤ - ٦٨٥م

بادرت القيسية عقب وفاة معاوية بن يزيد (معاوية الثانى) إلى مبايعة عبد الله بن الزبير، وتزعم جند الأردن. وكان فيه معظم كلب ـ الفتنة ضد القيسية، ورفضوا مبايعة ابن الزبير لإبقاء الخلافة فى الشام، وقد سعى إلى ذلك رؤساء اليمانية فى الشام، ورجال بنى أمية الذين تجمعوا فى الجابية، واختلف الأمويون وأشياعهم طويلاً، فمال بعضهم إلى خالد بن يزيد، وأخيراً وقع اختيارهم على مروان بن الحكم لسنه وشيخوخته فبايعوه بالجابية فى ذى القعدة سنة ٦٤هـ/ ٦٨٤م(١٠٣).

قال ابن الأثير فى أحداث سنة ٦٤هـ/ ٦٨٤م «فى هذه السنة بويع مروان بن الحكم بالشام.. هو مروان بن الحكم بن أبى الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس، وأمه آمنة بنت علقمة بن صفوان بن أمية من كنانة»(١٠٤).

مروان بن الحكم ومقاصير الصلاة

وقد أمدنا ابن الأثير بنص هام يتعلق بمقاصير الصلاة بالمدينة المنورة، حيث ذكر مقصورة من عمل مروان بن الحكم، قال ابن الأثير فى أحداث عام ٤٤ هـ «وفيها عمل مروان بن الحكم المقصورة بالمدينة، وهو أول من عملها بها، وكان معاوية قد عملها بالشام لما ضربه الخارجى»(١٠٥).

وقد تقدم دراسة موضوع مقاصير الصلاة عند ذكر الخليفة معاوية بن أبى سفيان من حيث النشأة والنسبة. هذا وقد دخل مروان بن الحكم مصر قال ابن الأثير «واستقر الشام لمروان سار إلى مصر، فقدمها وعليها عبد الرحمن بن

جحدم القرشى يدعو إلى ابن الزبير، فخرج إلى مروان فيمن معه، وبعث مروان عمرو بن سعيد من ورائه حتى دخل مصر، فقيل لابن جحدم ذلك، فرجع وبايع الناس ورجع إلى دمشق»[١٠٦].

الدار البيضاء بمصر

يحدثنا ابن عبد الحكم عن دار مروان بمصر بما نصه «واختط عبد الرحمن بن عديس البلوى الدار البيضاء ويقال بل كانت الدار البيضاء صحنا بين يدى المسجد ودار عمرو بن العاص موقفا لخيل المسلمين على باب المسجد حتى قدم مروان بن الحكم مصر فى سنة خمس وستين فابتناها لنفسه دارًا وقال ما ينبغى للخليفة أن يكون ببلد لا يكون له بها دار فبنيت له فى شهرين»[١٠٧].

عبد الملك بن مروان ٦٥ - ٨٦هـ/ ٦٨٥ - ٧٠٥م

هو أبو الوليد عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبى العاص بن أمية، قال ابن الأثير فى أحداث سنة ٦٥هـ/ ٦٨٥م عند ذكره بيعة عبد الملك وعبد العزيز ابنى مروان بولاية العهد «فى هذه السنة أمر مروان بن الحكم بالبيعة لابنيه عبد الملك وعبد العزيز»[١٠٨]، كما قال «ولما مات بويع لولده عبد الملك بن مروان فى اليوم الذى مات فيه»[١٠٩].

مسجد دمشق الجامع

رغب عبد الملك فى زيادة مساحة المسجد الجامع بدمشق، وذلك من خلال إدخال النصف الثانى المصالح عليه وهو الغربى، وهو النصف الذى يمثل كنيسة القديس يوحنا إلى المسجد فأبى النصارى، كما أبوا من قبل على معاوية بن أبى سفيان عندما رغب فى زيادة مساحة المسجد، قال البلاذرى «وحدثنى مصعب عن أبيه عن مالك عن نافع عن أسلم بمثله، قالوا: ولما ولى معاوية بن أبى سفيان أراد أن يزيد كنيسة يوحنا فى المسجد بدمشق فأبى النصارى ذلك فأمسك، ثم طلبها عبد الملك بن مروان فى أيامه للزيادة فى المسجد وبذل لهم مالا فأبوا أن يسلموها إليه..»[١١٠].

هدم الكعبة وعمارتها فى أثناء الحصار الثانى

أما فيما يتعلق بالكعبة فى عهد عبد الملك بن مروان فقد نصب الحجاج بن يوسف المنجنيق على جبل أبى قبيس، وأخذ فى رميها، فلما كسرت صاعقة

المنجنيق، عاد الحجاج بمنجنيق آخر، وكان هذا هو الحصار الثانى لمكة بعد حصارها فى عهد يزيد بن معاوية، وبعد مقتل ابن الزبير فى عام ٧٣هـ/ ٦٩٢م أراد الحجاج إعادة بناء الكعبة على ما كانت عليه، قبل أن يعيد ابن الزبير بناءها، بعد ضرب الحصين لها، فكتب إلى عبد الملك يخبره أن ابن الزبير زاد فى الكعبة ماليس منها، فأمره عبد الملك بتعديلها، قال ابن الأثير فى أحداث سنة ٧٤هـ/ ٦٩٣م «وفيها هدم الحجاج بناء الكعبة الذى كان ابن الزبير بناه، وأعادها إلى البناء الأول، وأخرج الحجر منها»[١١١].

قام الحجاج بن يوسف بنقض بناءها، وأعادها إلى قواعدها الأولى، وسد الباب الذى أحدثه ابن الزبير، وجعل الحجر الأسود من الخارج، بعد أن كان من الداخل، فكان بناء الحجاج للكعبة هو البناء الثانى منذ الإسلام، فلما فرغ منها، أرسل إليه عبد الملك كسوتها من الحرير، ثم وفد للحج[١١٢].

الاستحكامات الحربية (ثغور الشام) ومابها من عمائر دينية

عمارة حصن طرندة

نتيجة هدم الروم لبعض الحصون مثل ملطية ومرعش قام عبد الملك بن مروان باختيار مواضع أقرب إلى صميم أرض الروم لتحل محل ملطية ومرعش، وكانت هذه المواضع هى طرندة التى ذكرها ياقوت فقال «قال الواقدى: كان المسلمون نزلوا طرندة بعد أن غزاها عبد الله بن عبد الملك سنة ٨٣ وبنوا بها مساكن، وهى من ملطية على ثلاث مراحل داخلة فى بلاد الروم وملطية يومئذ خراب»[١١٣].

عمارة حصن المصيصة ومسجدها

ومن هذه المواضع المصيصة التى استحدثها على الأساس القديم، وجعل منها مركزاً مهمًا للثغور، وشيد بها مسجداً قال البلاذرى «وحدثنى محمد بن سعد عن الواقدى وغيره، قال لما كانت سنة أربع وثمانين غزا على الصائفة عبد الله بن عبد الملك بن مروان فدخل من درب أنطاكية وأتى المصيصة فبنى حصنها على أساسه القديم ووضع بها سكانًا من الجند منهم ثلثمائة رجل انتخبهم من ذوى

البأس والنجدة المعروفين ولم يكن المسلمون سكنوها قبل ذلك وبنى فيها مسجداً فوق تل الحصن ثم سار فى جيشه حتى غزا حصن سنان ففتحه. . وقال أبو الخطاب الأزدى: كان أول من ابتنى حصن المصيصة فى الإسلام عبد الملك بن مروان على يد ابنه عبد الله بن عبد الملك فى سنة أربع وثمانين»[١١٤].

عمارة عسقلان وقيسارية

شيد عبد الملك بن مروان عسقلان وحصنها، كما قام بترميم قيسارية وتشييد مسجدها، قال البلاذرى «فلما ولى عبد الملك بن مروان بناها وحصنها (عسقلان) ورم أيضًا قيسارية. . قال حدثنى أبو سليمان الرملى عن أبيه أن الروم خرجت فى أيام ابن الزبير إلى قيسارية فشعثتها وهدمت مسجدها، فلما استقام لعبد الملك بن مروان الأمر رم قيسارية وأعاد مسجدها واشحنها بالرجال»[١١٥].

عمارة صور وعكا

هذا وقد أعاد عبد الملك بن مروان بناء صور وعكا، قال البلاذرى «وبنى صور وعكا الخارجة، وكانت سبيلهما مثل سبيل قيسارية»[١١٦].

المسجد الأقصى وقبة الصخرى ٧٢هـ/ ٦٩١ - ٦٩٢م

أولاً : المسجد الأقصى (شكل ٧، ٨)

تطلع المسلمون منذ عهد الرسول ﷺ إلى فتح بلاد الشام عامة وبيت المقدس خاصة فهو بالنسبة لهم أول القبلتين وثانى البيتين وثالث الحرمين، وهو إحدى المساجد الثلاثة التى تشد الرحال إليها لقوله ﷺ «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجدى هذا، والمسجد الأقصى»(١١٧)، وإليه أسرى بالرسول ﷺ قبل عروجه إلى السماء قال تعالى «سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير»(١١٨).

وقد حرص البيزنطيون على تقوية استحكامات القدس الحربية، ونصبوا المجانيق على أسوارها، فامتنعت المدينة على المسلمين عندما هاجمها أبو عبيدة بن الجراح فى عام ١٥هـ/ ٦٣٧م، وبعد حصار دام أربعة أشهر أيقن أهلها صعوبة مقاومة العرب المسلمين، فقاموا بتسليمها صلحًا للخليفة عمر بن الخطاب(١١٩).

غدت القدس منذ الفتح العمرى مركزًا حضاريًا وثقافيًا هامًا فى الحضارة العربية الإسلامية، فقد شيد بها الخليفة عمر بن الخطاب مسجدًا جامعًا يعد أول منشأة دينية إسلامية تشيد بها، وأخذ يتفقد شوارعها وأزقتها وأسواقها، ويرتب أمورها الإدارية والسياسية والدينية فهى المدينة المقدسة الدينية بعد مكة المكرمة والمدينة المنورة(١٢٠).

شيد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه المسجد بجوار الصخرة المقدسة،

وكان بسيطًا من الناحية المعمارية يشغل كما يذكر لنا المؤرخ أركلف (Ar chulf) فى القرن الأول الهجرى / السابع الميلادى مساحة مربعة، ثم جدد فى عهد الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان عند تشييده قبة الصخرة ٦٩-٧٢هـ/ ٦٨٨ - ٦٩١م، كما عنى به الخليفة الوليد بن عبد الملك(١٢١).

وقد ذكره المقدسى فقال «وأما المسجد الأقصى فهو على قرنة البلد الشرقى نحو القبلة.. وقد بنى عليه عبد الملك بحجارة صغار حسان وشرفوه وكان أحسن من جامع دمشق لكن جاءت زلزلة فى دولة بنى العباس فطرحت المغطى إلا ما حول المحراب»(١٢٢).

هذا وقد شهد المسجد خلال عصوره الإسلامية التالية اصلاحات وإضافات عديدة غيرت من معالمه الأولى، وقد أمدنا د. أحمد فكرى بتصور لتخطيط المسجد فى العصر الأموى فقال إنه كان يشغل مستطيلاً يتكون من بيت للصلاة طول جدار القبلة فيه ٦٥م، وعرضه ٥٠م، يتكون من إحدى عشرة بلاطة عرضية وعشر بلاطات طولية تمتد من الشمال إلى الجنوب عمودية على جدار القبلة، ولم يكن المحراب يتوسط جدار القبلة، وكان المسجد يشتمل على أحد وعشرين مدخلا منها أحد عشر مدخلاً فى الجدار الشرقى، وعشرة فى الجدار الشمالى(١٢٣).

ثانيا: قبة الصخرة ٧٢هـ/ ٦٩١ - ٦٩٢م (شكل ٩، ١٠)

تعد قبة الصخرة من أروع العمائر الأموية فى بلاد الشام، كما أنها تعد أقدم أثر إسلامى باق فى تاريخ العمارة الإسلامية شرع الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان فى عمارتها فى عام ٦٩هـ/ ٦٨٨م، وكان الفراغ منها فى عام ٧٢هـ/ ٦٩١-٦٩٢م وأوقف على نفقتها ونفقة عمارة المسجد الأقصى خراج مصر سبعة أعوام، وذلك فى وسط هضبة صخرية واسعة تسمى «الحرم الشريف»، ويقع على امتداد محورها الرئيسى المسجد الأقصى الذى تقدم ذكره وتشتمل قبة الصخرة على كتابة كوفية مذهبة يبلغ طولها نحو ٢٤٠م نفذت على أرضية زرقاء داكنة من الزخارف الفسيفسائية قوامها آيات قرآنية وتاريخ البناء ونصه «بنى هذه القبة عبد الله الإمام المأمون» وألقا به بخط ضيق يخالف الخط المستخدم فى سائر أجزاء الكتابة، مما يدل على أن المأمون أحدث تغييرًا فى النص فأزال اسم الخليفة عبد الملك بن مروان ووضع اسمه، إلا أنه فاته أن يغير التاريخ، حيث أن عام ٧٢هـ/ ٦٩١-٦٩٢م يقع فى فترة حكم الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان(١٢٤).

وقد ذكر كريزويل أن الخليفة عبد الملك بن مروان كان يرغب فى أن تقوم قبة الصخرة محل الكعبة المشرفة، لذلك قرر منع أهل الشام من الحج، وفى هذا الصدد أورد روايتين تاريخيتين فى سبب بناء قبة الصخرة إحداهما لليعقوبى الذى أشار إلى أن عبد الملك بن مروان أمر بمنع الحج إلى مكة وقال إن هذه الصخرة التى يقال إن رسول الله ﷺ وضع قدمه عليها ستكون لكم بديلاً عن الكعبة ثم شيد القبة فوقها، واتخذ الناس عادة الطواف حول الصخرة كما كانوا يطوفون حول الكعبة، والأخرى للمقدسى الذى أورد سببًا آخر للبناء يتمثل فى مضاهاة العمارة المسيحية فى القدس، حيث قال «. . . وقلت يوما لعمى يا عم لم يحسن

الوليد حيث أنفق أموال المسلمين على جامع دمشق ولو أصرف ذلك فى عمارة الطرق والمصانع ورم الحصون لكان أصوب وأفضل قال لا تفعل يا بنى إن الوليد وفق وكشف له عن أمر جليل وذلك أنه رأى الشام بلد النصارى ورأى لهم فيها بيعا حسنة قد افتن زخارفها وانتشر ذكرها كالقمامة (القيامة) وبيعة لدوالرها فاتخذ للمسلمين مسجدًا أشغلهم به عنهن وجعله أحد عجائب الدنيا ألا ترى أن عبد الملك لما رأى عظم قبة القمامة وهيئتها خشى أن تعظم فى قلوب المسلمين فنصب على الصخرة قبة على ما ترى»[١٢٥].

ويرجح كريزويل رأى اليعقوبى حيث يذكر أنه السبب الرئيسى لأنه يلائم تمامًا الوضع السياسى حينئذ وفى الوقت ذاته يشير إلى أهمية ما أورده المقدسى بالنسبة لهذا الموضوع حيث يقول «ربما يكون أحد العوامل فى القضية»[١٢٦].

هذا وقد وضع تصميم قبة الصخرة (لوحة ١) ليلائم الطواف حول الصخرة المقدسة التى تمثل كتلة غير منتظمة من الصخر الطبيعى، ويبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب ١٨م، وعرضها من الشرق إلى الغرب ١٣م، كما يبلغ أقصى ارتفاع لها عن أرض البناء ١,٥٠م، ويحيط بهذه الصخرة المقدسة سياج من خشب الخرط أمر بصنعه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م، وقد جاء تخطيط القبة من قاعدة مستديرة تتكون من أربع دعائم كبيرة ملبسة بالرخام الأبيض - واثنى عشر عمودًا، ووضعت هذه الأعمدة والدعائم فى تكوين دائرى يكفى للإحاطة بالصخرة، حيث أوجد المعمار بين كل دعامة وأخرى ثلاثة أعمدة، وتحمل الدعامات والأعمدة ستة عشر عقدًا مدببًا، ويعلو القبة رقبة اسطوانية أوجد بها المعمار ست عشرة نافذة معقودة، وترتكز القبة[١٢٧] على هذه الرقبة، وقد جاء قطاعها نصف دائرى، وهى من الخشب يبلغ إرتفاعها من مستوى الأرض ٣٥,٥م، أما ارتفاع القبة نفسها فيبلغ ١٥م، وارتفاعها برقبتها وقاعدتها ٢٠,٥م، أما قطرها فهو ٢٠,٤٤م، والقبة الخشبية مزدوجة أى من طبقتين، الداخلية فيها من عروق خشبية على هيئة مدببة، أما الطبقة الخارجية للخوذة فتتكون من ضلوع خشبية مغلفة بالرصاص، ويعلو القبة هلال

من النحاس يبلغ ارتفاعه ١٠ , ٤م، وقد سقطت القبة فى سنة ٤٠٧هـ/ ١٠١٦ - ١٠١٧م بسبب الزلزال الذى أصابها فى عهد الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله، ثم أعيد تشييدها فى عام ٤١٠هـ/ ١٠١٩م، ثم سقطت مرة أخرى فشيدت فى سنة ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م بعد أن أصابها حريق، ثم شيدت مرة أخرى، وسقطت فى العصرين العثمانى والحديث، ثم نجد مثمنًا يحيط بالقبة من الخارج وهو على شكل مربعين متقاطعين شيد فى زواياه الأكتاف الحاملة لسقف الممرات المحيطة بمنطقة الصخرة المقدسة، وجعل إمتداد رؤوس المربعين إلى الداخل محددًا للمربع الأوسط الذى وضعت فى زواياه الأكتاف الحاملة لرقبة القبة، ويقابل الداخل من أحد أبواب المثمن الخارجى رواقًا مثمنًا يبلغ اتساعه ٣,٨٠م، يحده من الجهة الخارجية جدران المثمن الخارجى الذى يبلغ قياس كل منها من الداخل ١٩م، كما يحده من الداخل أضلاع المثمن الداخلى والذى يبلغ طول كل ضلع من أضلاعه ١٥,٥م، ويتكون هذا المثمن من ثمانى دعامات ضخمة ملبسة بالرخام وستة عشر عمودًا من الرخام، وقد وزعت هذه الأعمدة بين الدعامات بشكل متناغم بحيث أوجد المعمار عمودين بين كل دعامة وأخرى فجاء كل ضلع من أضلاع المثمن عبارة عن ثلاثة عقود نصف دائرية، وهى فى مجموعها تتألف من أربعة وعشرين عقدًا واستخدمت الروابط الخشبية الضخمة لربط تيجان الأعمدة، بعضها ببعض، وتحمل هذه الدعامات والأعمدة مع الجدران الخارجية سقف هذا الرواق، وتزدان هذه العقود فى جوانبها وباطنها بالفسيفساء البراقة، ويشتمل كل جانب من الجوانب الأربعة التى تقابل الجهات الأصلية فى المثمن على فتحة باب، وقد أوجد المعمار رواقًا بين هذا المثمن ودائرة القبة يبلغ اتساعه ٦ م تقريبًا ويغطى هذا الرواق سقف خشبى مائل غطى بالرصاص، أما المثمن الخارجى فهو عبارة عن جدار فى كل ضلع من أضلاعه يبلغ طوله ٢٠,٦٠م، كما يبلغ إرتفاعه ٩,٥٠م بسمك ٢م ويشتمل كل ضلع من أضلاع هذا المثمن على سبعة تجاويف (دخلات) رأسية فى الجزء السفلى منها، بينما فتح فى الأجزاء العلوية منها نافذة معقودة مغطاة بالقاشانى المفرغ الذى يرجع إلى العصر العثمانى، وكانت النوافذ

الأصلية الموجودة بالجزء العلوى من الدخلات من الرخام المزخرف بأشكال هندسية مثل تلك الموجودة بالمسجد الأموى بدمشق، ويوجد أعلى الجدران الخارجية حاليًا منطقة مستطيلة تغطيها بلاطات القاشانى ويخرج من أسفلها ميازيب لتصريف الأمطار حتى لا تتراكم على السطح فتؤثر عليه ويبلغ عدد النوافذ فى الجدران ٥٦ نافذة، ٤٠ منها مفتوحة و ١٦ مصمتة، وتشتمل الجوانب الأربعة الموازية لمثيلاتها فى المثمن الداخلى والتى تقابل الجهات الأصلية على أربعة أبواب بواقع باب يتوسط كل ضلع، وتقع هذه الأبواب على محور أبواب المثمن الداخلى فى تناغم هندسى رائع، وقد جاءت فتحات هذه الأبواب باتساع ٢,٦م، وبارتفاع ٤,٣م لذلك فإن النوافذ الوسطى فوق هذه الأبواب والتى جاءت عبارة عن نافذة أعلى كل باب تتسم بصغرها مقارنة بالنوافذ الأخرى، ويتوج كل نافذة عقد نصف دائرى، ويتقدم كل من هذه المداخل التذكارية البارزة فى المثمن الخارجى سقيفة مقامة على أعمدة رخامية، والسقيفة مصنوعة على هيئة نصف دائرية من الخشب المزخرف والمذهب، ويغلق على كل مدخل مصراعان من الخشب يرجعان إلى العصر العثمانى، والأبواب الحالية المصفحة كما يذكر كريزويل ترجع إلى عهد السلطان سليمان القانونى، وكانت هذه الأبواب فى العصر العباسى من الخشب المزخرف كما أورد المقدسى، حيث قال «وفى الوسط قبة الصخرة على بيت مثمن بأربعة أبواب كل باب يقابل مرقاة باب القبلى باب إسرافيل باب السور باب النساء يفتح إلى الغرب جميعها مذهبة فى وجه كل واحد باب ظريف من خشب التنوب مداخل حسن أمرت بهن أم المقتدر بالله»(١٢٨).

أما الأبواب الأصلية فكما يذكر كريزويل لم تصل إلينا ولا نعرف عنها شيئًا(١٢٩).

هذا وقد أوجد المعمار بين هذا المثمن والمثمن الداخلى رواقًا آخر يغطيه سقف خشبى مائل غطى بالرصاص على غرار الرواق الذى يفصل بين القبة والمثمن الداخلى، وقد كان الغرض من الرواقين الداخلى والخارجى الطواف حول

الصخرة المقدسة، ويلاحظ أن المعمار أوجد تباينًا فى عرض كل من الرواقين الداخلى والخارجى، حيث جاء الرواق الداخلى المحصور بين القبة والمثمن الداخلى أكثر عرضًا من الرواق الخارجى، وذلك نتيجة أن الدعامات والأعمدة فى المثمن الداخلى لم تتوسط المساحة المحصورة بين القبة والمثمن الخارجى، وهو الأمر الذى نتج عنه هذا التباين فى الاتساع. ويذكر كريزويل انه بكشف جزء من الجدران الخارجية لفترة بسيطة فى أثناء الإصلاحات فى سنة ١٢٩٠ - ١٢٩١هـ/ ١٨٧٣ - ١٨٧٤م ومرة أخرى قبل بضعة سنوات تبين أنها مبنية من الحجر فى مداميك يبلغ ارتفاعها ٨٠سم[١٣٠].

وترجع إلى عصر السلطان سليمان القانونى النوافذ ذات المصبعات المزدوجة. حيث يشير كريزويل إلى أنه لم يبق حتى الآن أى من النوافذ الأصلية، ولكن بفضل أبحاث ريتشموند التى اتسمت بالدقة أمكن تحديد موقعها فى عرض الجدران والنافذة نفسها. فعمق الجدار ١,٣٠م، وقد وجد على سطح إحدى فتحات النوافذ بقايا من الفسيفساء الزجاجية التى كانت تغطى فى الأصل النصف العلوى من الجدران الخارجية وقد كان الجانب الخارجى من جدران البناء مغطى بالفسيفساء ثم استبدلت بلوحات من القاشانى فى عهد السلطان العثمانى سليمان القانونى فى عام ٩٥٢هـ/ ١٥٤٥م[١٣١].

والواقع أن قبة الصخرة شهدت صناعة أبواب جديدة لها كما تقدم فى عام ٣٠١هـ/ ٩١٣م من قبل أم الخليفة العباسى المقتدر بالله، كما أصلح فى نفس التاريخ جانب من السقف، ثم قام الخليفة الفاطمى الظاهر بأعمال ترميم على يد على بن أحمد واسمه منقوش على الفسيفساء، وفى سنة ٩٥٢هـ/ ١٥٤٥م أمر السلطان العثمانى بإصلاح زخارف القبة حيث استبدلت الفسيفساء بلوحات من القاشانى، وتحتفظ قبة الصخرة فى كثير من أجزائها الداخلية بزخارف الفسيفساء، قوامها رسوم الأشجار والفاكهة والأوانى التى تخرج منها الفروع النباتية ورسوم الأهلة والنجوم، فهى تجمع بين بساطة التصميم وتناسق الأجزاء ودقة النسب وبين الجمال والفخامة والرونق وإبداع الزخرفة وتعتبر زخارف الفسيفساء بقبة

الصخرة من أقدم الزخارف الإسلامية المؤرخة، وكانت هذه الفسيفساء تكسو المنشأة من الداخل والخارج وقد أجريت فى هذه الفسيفساء عدة إصلاحات فى عصور مختلفة، وخاصة فى العصرين العباسى والفاطمى، غير أن الجزء الأكبر منها يرجع إلى عصر الخليفة عبد الملك بن مروان كما يذكر د. ربيع خليفة، وتتألف هذه الفسيفساء من فصوص صغيرة أو مكعبات دقيقة من الزجاج ـ الحجر ـ الصدف روعى فى لصقها أن تكون مسطحة وفى وضع أفقى، أما الفصوص المذهبة والمفضضة فقد الصقت فى وضع مائل حتى تعكس الضوء ويزداد بريقها، وقد تباينت الألوان بين الأخضر والأزرق بدرجات عدة إلى جانب اللون الأحمر والبنفسجى والبنى والأسود والأبيض، كما استعمل اللون الذهبى للخلفية، وأحيانا فى إبراز بعض العناصر مثل رسوم الفاكهة، وتتألف زخارف الفسيفساء من وحدات نباتية وصور أشجار كاملة بأوراقها وثمارها مثلت بشكل طبيعى مثل النخيل والزيتون والخيزران أو أشجار من ابتكار الخيال، كما اشتملت أيضًا على تشكيلات زخرفية متنوعة تمتزج بأوانى الزهور والقواقع وقرون الرخاء الحافلة بالورود والفواكه وخاصة العنب والرمان والبلح والتين والتفاح والكمثرى مع وحدات من أوراق الأكانتس الكبيرة الرشيقة، وعلى الرغم من أن فسيفساء قبة الصخرة متعددة الأصول إلا أن ثمة وحدة مبتكرة جامعة كما يذكر د. ربيع خليفة تجمع بينها فى إطار واحد، ومن ثم فهى تعد الخطوة الأولى فى مجال الفن الأموى، فثمة طابع مميز وروح جديدة، فى هذه الزخارف لا نجدها فى حصيلة الفنون السابقة على الفن الإسلامى، وليس هناك شك فى أن هذه الزخارف تمثل إبداعًا فنيا رائعًا يترك أثرًا عميقًا فى النفس ويبهر كل من يشاهده. وظلت القبة فريدة فى تصميمها وعمارتها وزخارفها بسبب الغرض الذى شيدت من أجله، وطبيعى أن تتأثر عمارة وزخرفة القبة بالأساليب المعمارية والفنية التى كانت تسود بلاد الشام قبل الفتح الإسلامى[١٣٢]. (انظر لوحات ٢-٥)

تعريب النقود والدواوين

ضربت الدراهم والفلوس الإسلامية فى العصر الأموى فى عهد الخليفة معاوية بن أبى سفيان وعليها صورته متقلداً سيفًا، ولكن لم يعثر على أى منها بسبب الإصلاح النقدى الذى قام به الخليفة عبد الملك بن مروان، ولما اجتمع الأمر لزياد بن أبيه فى ولايتى البصرة والكوفة فى عهد الخليفة معاوية ضرب دراهم مماثلة لدراهم معاوية، ولم يكن لخلفاء معاوية أمثال يزيد بن معاوية، ومعاوية الثانى، ومروان بن الحكم محاولات فعالة وإيجابية فى ميدان ضرب النقود أو تعريبها، إلا أن بعض الثوار والمطالبين بالخلافة فطنوا إلى أهمية العملة لكونها مظهراً من مظاهر السلطان وسمة من سمات السيادة فضربوا بأسمائهم عملات على غرار ما فعله الخلفاء تعبيرًا عن استقلالهم، ومن هؤلاء قطري بن الفجاءة الخارجى، وعبد الله بن الزبير، وأخوه مصعب الذى ضرب الدراهم سنة ٧٠هـ على ضرب الأكاسرة، وعليها بركة، وعليها الله، وذكر أن عبد الله بن الزبير أول من ضرب الدراهم المستديرة ونقش على أحد وجهى الدراهم «محمد رسول الله» وعلى الوجه الآخر «أمر الله بالوفاء والعدل»، غير أن هذه العملات لم تستكمل عناصرها من حيث إصلاحها وتعريبها إلا فى عهد الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان(١٣٣).

بدأ الخليفة عبد الملك بن مروان بحركة تعريب السكة وتوحيدها، حيث لم تصدر العملات الإسلامية الخالصة إلا فى عهده الذى شهد ظاهرة صبغ الدولة بصبغة عربية فى جميع الشؤون الإدارية والمالية والفنية، وعلى هذا النحو ظهر فى عام ٧٧هـ (٦٩٦م) أول نقد إسلامى خالص خال من التأثيرات المسيحية كضرورة من ضرورات الاستقرار الاقتصادي، قال ابن الأثير فى أحداث سنة ٧٦هـ/ ٦٩٥م» وفى هذه السنة ضرب عبد الملك بن مروان الدنانير والدراهم،

وهو أول من أحدث ضربها فى الإسلام، فانتفع الناس بذلك. وكان سبب ضربها أنه كتب فى صدور الكتب إلى الروم: «قل هو الله أحد»، وذكر النبى ﷺ مع التاريخ، فكتب إليه ملك الروم: إنكم قد أحدثتم كذا وكذا، فاتركوه وإلا أتاكم فى دنانيرنا من ذكر نبيكم ما تكرهون، فعظم ذلك عليه. فأحضر خالد بن يزيد بن معاوية فاستشاره فيه، فقال: حرم دنانيرهم، واضرب للناس سكة فيها ذكر الله تعالى. فضرب الدنانير والدراهم»(١٣٤).

أما فيما يتعلق بالدواوين في العصر الأموى فقد تعددت نتيجة اتساع الدولة الأموية وازدياد نشاطها حتى بلغت خمسة دواوين، ولم يقتصر وجود الدواوين على قصر الخلافة بل أنشئت دواوين محلية فى الأقطار المفتوحة، كانت استمراراً للدواوين التى كانت موجودة قبل الفتح العربى، وظلت تستعمل فيها اللغات الفارسية والرومية والقبطية وأحيانًا اليونانية، ويتولى الوظائف فيها أشخاص من النصارى والفرس دون العرب والمسلمين، وكانت بعض الدواوين فى البلد الواحد تكتب باللغة العربية وبعضها الآخر إما باللغة الفارسية أو الرومية، غير أن الخليفة عبد الملك بن مروان تولى أمر تعريب الدولة، بعد أن نفذ عملية تعريب النقود فقام بتعريب الدواوين إكمالا لصبغ الدولة بصبغة عربية وهذه الدواوين هى ديوان الجند، وديوان الخراج، وديوان الرسائل، وديوان الخاتم، وديوان البريد(١٣٥).

والديوان كلمة فارسية معناها سجل أو دفتر، وأطلق اسم الديوان من باب المجاز على المكان الذى يحفظ فيه الديوان. قال الطبرى عند ذكره الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه «وهو أول من دون للناس فى الإسلام الدواوين»(١٣٦)، وقال ابن الأثير عند ذكره الخليفة عبد الملك بن مروان «وكان عبد الملك.. أول من نقل الديوان من الفارسية إلى العربية»(١٣٧).

الوليد بن عبد الملك ٨٦-٩٦هـ/ ٧٠٥-٧١٥م

هو الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أمه ولادة بنت العباس بن جزء بن الحارث بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عبس بن بغيض، قال الطبرى فى أحداث سنة ٨٦هـ/ ٧٠٥م «وفى هذه السنة بويع للوليد بن عبد الملك بالخلافة، فذكر أنه لما دفن أباه وانصرف عن قبره، دخل المسجد فصعد المنبر، واجتمع إليه الناس، فخطب فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون! والله المستعان على مصيبتنا بموت أمير المؤمنين والحمد لله على ما أنعم به علينا من الخلافة. قوموا فبايعوا»(١٣٨).

قال ابن الأثير وقد أورد النص السابق «وكان أول من عزى نفسه وهنأها»(١٣٩).

الجامع الأموى بدمشق ٨٧-٩٦هـ/ ٧٠٦-٧١٥م (أشكال ١١-١٣)

رغب عبد الملك بن مروان فى زيادة مساحة المسجد الجامع بدمشق، وذلك من خلال إدخال النصف الثانى المصالح عليه وهو الغربى، وهو النصف الذى يمثل كنيسة القديس يوحنا إلى المسجد فأبى النصارى، كما أبوا من قبل على معاوية بن أبى سفيان عندما رغب فى زيادة مساحة المسجد، غير أن الوليد بن عبد الملك حقق ما كان يرغب فيه معاوية بن أبى سفيان ومن بعده عبد الملك بن مروان وهو الأمر الذى يتضح جليًا فيما أورده ابن جبير ونصه «والوليد هذا هو الذى أخذ نصف الكنيسة الباقية منه فى أيدى النصارى وأدخلها فيه، لأنه كان

قسمين: قسما للمسلمين وهو الشرقى، وقسما للنصارى وهو الغربى، لأن أبا عبيدة بن الجراح، رضى الله عنه، دخل البلد من الجهة الغربية، فانتهى إلى نصف الكنيسة، وقد وقع الصلح بينه وبين النصارى، ودخل خالد بن الوليد، رضى الله عنه، عنوة من الجانب الشرقى وانتهى إلى النصف الثانى وهو الشرقى، فاجتازه المسلمون وصيروه مسجداً، وبقى النصف المصالح عليه وهو الغربى كنيسة بأيدى النصارى، إلى أن عوضهم منه الوليد، فأبوا ذلك، فانتزعه منهم..»[١٤٠].

وفى ذلك قال البلاذرى عند ذكره فتح دمشق وأرضها «وحدثنى مصعب عن أبيه عن مالك عن نافع عن أسلم بمثله، قالوا: ولما ولى معاوية بن أبى سفيان أراد أن يزيد كنيسة يوحنا فى المسجد بدمشق فأبى النصارى ذلك فأمسك، ثم طلبها عبد الملك بن مروان فى أيامه للزيادة فى المسجد وبذل لهم مالا فأبوا أن يسلموها إليه، ثم إن الوليد بن عبد الملك جمعهم فى أيامه وبذل لهم مالا عظيماً على أن يعطوه إياها فأبوا، فقال: لئن لم تفعلوا لأهد منها، فقال بعضهم: يا أمير المؤمنين إن من هدم كنيسة جن وأصابته عاهة فاحفظه قولا ودعا بمعول وجعل يهدم بعض حيطانها بيده.. ثم جمع الفعلة والنقاضين فهدموها وأدخلها فى المسجد»[١٤١].

ويذكر ابن تغرى بردى فيما يتعلق بالجامع الأموى بعد الفراغ من عمارته عند ذكره السنة الثانية من ولاية قرة بن شريك على مصر وهى سنة إحدى وتسعين «وفيها حج بالناس الوليد بن عبد الملك، فلما دخل إلى المدينة غدا إلى المسجد ينظر إلى بنائه وأخرج الناس منه ولم يبق غير سعيد بن المسيب، فلم يجسر أحد من الحرس أن يخرجه، فقيل له: لو قمت: فقال: لا أقوم حتى يأتى الوقت الذى أقوم فيه، قيل: فلو سلمت على أمير المؤمنين: قال: والله لا أقوم إليه، قال عمر بن عبد العزيز: فجعلت أعدل بالوليد فى ناحية المسجد لئلا يراه، فالتفت الوليد إلى القبلة فقال: من ذلك الشيخ؟ أهو سعيد؟ قال عمر: نعم، ومن حاله كذا وكذا ولو علم بمكانك لقام فسلم عليك وهو ضعيف البصر، فقال

الوليد: قد علمنا حاله ونحن نأتيه، فدار فى المسجد ثم أتاه، فقال: كيف أنت أيها الشيخ؟ ـ فو الله ما تحرك سعيد ـ فقال: بخير والحمد لله، فكيف أمير المؤمنين وكيف حاله؟ فانصرف الوليد وهو يقول: هذا بقية الناس وصلى الوليد الجمعة بالمدينة فخطب الناس الخطبة الأولى جالسا، ثم قام فخطب الثانية قائمًا[١٤٢].

ويعد الجامع الأموى ٨٧هـ/ ٧٠٦م من روائع العمارة الإسلامية فى العصر الأموى، فقد جمع الخليفة الوليد بن عبد الملك لبنائه أمهر الصناع والمهندسين فى العالم من فارس والهند وبلاد الروم والمغرب، وأنفق على عمارته خراج الشام سبع سنوات.

وقد ذكره الجغرافيون والرحالة المسلمون ووصفوه وصفًا بديعًا، قال اليعقوبى عند ذكره مدينة دمشق «ومسجدها، الذى ليس فى الإسلام أحسن منه بالرخام والذهب، بناه الوليد بن عبد الملك بن مروان فى خلافته»[١٤٣].

كما وصفه الاصطخرى فقال «وأما جند دمشق فإن قصبتها مدينة دمشق، وهى أجل مدينة بالشام كلها، وهى فى أرض واسعة بين جبال تحيط بها مياه كثيرة وأشجار وزروع متصلة.. وبها مسجد ليس فى الإسلام مسجد أحسن ولا أكثر نفقة منه.. فجعل أرضه رخاما مفروشًا، وجعل وجه جدرانه رخامًا مجزعًا، وأساطينه رخاما موشى، ومعاقد رؤوس أساطينه ذهبا، ومحرابه ذهبًا مرصعًا بالجواهر، ودور السقف كله ذهبًا مكتبًا.. وسطحه رصاص، وسقفه خشب مذهب، يدور الماء على رقعة المسجد حتى إذا فجر فيه انبسط على جميع الأركان سواء»[١٤٤].

ووصفه المقدسى فقال «دمشق هى مصر الشام ودار الملك أيام بنى أمية وثم قصورهم واثارهم بنيانهم خشب وطين.. والجامع أحسن شىء للمسلمين اليوم.. قد رفعت قواعده بالحجارة... وجعل عليها شرف بهية وجعلت اساطينها أعمدة سودا.. على ثلاثة صفوف.. وفى الوسط إزاء المحراب قبة

كبيرة وأدير على الصحن أروقة متعالية.. ثم بلط جميعه بالرخام الأبيض وحيطانه إلى قامتين بالرخام المجزع ثم إلى السقف بالفسافساء الملونة فى المذهبة صور أشجار وأمصار وكتابات على غاية الحسن والدقة ولطافة الصنعة.. وطليت رؤوس الأعمدة بالذهب وقناطر الأروقة كلها مرصعة بالفسيفساء وأعمدة الصحن كلها رخام أبيض.. والشرافيات من الوجهين بالفسيفساء وعلى الميمنة فى الصحن بيت مال على ثمانية عمد مرصع حيطانه بالفسافساء وفى المحراب وحوله فصوص عقيقية وفيروزجية.. ومن أعجب شىء فيه تاليف الرخام المجزع.. ويقال إن الوليد جمع لبنائه حذاق فارس والهند والمغرب والروم وأنفق عليه خراج الشام سبع سنين مع ثمانى عشرة سفينة ذهب وفضة أقلعت من قبرص سوى ما أهدى إليه ملك الروم»(١٤٥).

ويشير المقدسى إلى السبب الذى جعل الخليفة الوليد يتأنق فى عمارة المسجد من الناحيتين المعمارية والزخرفية بقوله «وقلت يومًا لعمى يا عم لم يحسن الوليد حيث أنفق أموال المسلمين على جامع دمشق ولو أصرف ذلك فى عمارة الطرق والمصانع ورم الحصون لكان أصوب وأفضل قال لا تفعل يا بنى إن الوليد وفق وكشف له عن أمر جليل وذلك أنه رأى الشام بلد النصارى ورأى لهم فيها بيعًا حسنة قد أفتن زخارفها وانتشر ذكرها كالقمامة وبيعة لدوالرها فاتخذ للمسلمين مسجدًا أشغلهم به عنهن وجعله أحد عجائب الدنيا»(١٤٦).

وذكر الإدريسى دمشق ومسجدها الجامع فقال «ومدينة دمشق من أجل بلاد الشام وأحسنها مكانا وأعدلها هواء وأطيبها ثرى وأكثرها مياها وأغزرها فواكه وأعمها خصبا وأوفرها مالا وأكثرها جندا وأشمخها بناء ولها جبال ومزارع تعرف بالغوطة.. وبها المسجد الجامع الذى ليس على الأرض مثله بناء ولا أحسن منه صنعة ولا أتقن منه إحكاما ولا أوثق منه عقدا ولا أغرب منه رسما ولا أبدع منه تلميعا بأنواع الفصفص المذهب والآجر المحكوك والمرمر المصقول وهو فى مربعة تعرف بالميزاب فمن جاءه من ناحية باب جيرون صعد إليه فى درج رخام كبير واسع نحو من ثلاثين درجة ومن قصده من ناحية باب البريد والقبة الخضراء

وقصر اليتيمين وحجر الذهب وباب الفراديس كان مدخله مع الأرض بغير درج. . . تغلبت عليه النصارى فصار ملكا بأيديهم فحولته بيعة يقيمون بها دينهم ثم استفتحها الإسلام فصار لهم فاتخذوه جامعًا فلما كان فى أيام الوليد بن عبد الملك من بنى أمية عمره فجعل أرضه رخاما ومعاقد رؤوس أساطينه ذهبا ومحرابه مذهبا وسائر حيطانه مرصعة بأشباه الجوهر ودور السقف كله مكتبا كما يدور بترابيع جدران المسجد مذهبا بأحسن صنعة وأبدع تنميق ويقال إنه جعل بأعلى السقف حصر رصاص محكمة التأليف وثيقة الصنعة والماء يصل إليه فى قنوات رصاص فمتى احتاج ذلك المسجد إلى الغسل فتح إليه الماء وغسل جميع صحنه بأهون سعى ويقال إن الوليد بن عبد الملك المقدم ذكره أنفق فى إتقان هذا المسجد الجامع خراج الشام كله سنتين»[١٤٧].

كما وصفه ياقوت الحموى فقال «وأما جامعها فقد وصفه بعض أهل دمشق فقال: هو جامع المحاسن كامل الغرائب معدود إحدى العجائب. . وهو منزه عن صور الحيوان إلى صنوف النبات وفنون الأغصان لكنها لاتجنى إلا بالأبصار ولا يدخل عليه الفساد كما يدخل على الأشجار والثمار بل باقية على طول الزمان مدركة بالعيان فى كل أوان. . وقالوا: عجائب الدنيا أربع: قنطرة سنجة ومنارة الإسكندرية وكنيسة الرها ومسجد دمشق، وكان قد بناه الوليد بن عبد الملك بن مروان وكان ذاهمة فى عمارة المساجد، وكان الابتداء بعمارته فى سنة ٨٧، وقيل سنة ٨٨. . واحتفل فى بنائه بغاية ما أمكنه وسهل عليه إخراج الأموال وعمل له أربعة أبواب: فى شرقيه باب جيرون وفى غربيه باب البريد وفى القبلة باب الزيادة وباب الناطفانيين مقابله وباب الفراديس فى دبر القبلة. . وهو مبنى على الأعمدة الرخام طبقتين، الطبقة التحتانية أعمدة كبار والتى فوقها صغار فى خلال ذلك صورة كل مدينة وشجرة فى الدنيا بالفسيفساء الذهب والأخضر والأصفر، وفى قبليه القبة المعروفة بقبة النسر، ليس فى دمشق شىء أعلى ولا أبهى منظراً منها، ولها ثلاث منائر، ولم يزل جامع دمشق على تلك الصورة يبهر بالحسن والتنميق إلى أن وقع فيه حريق فى سنة ٤٦١ فأذهب بعض بهجته[١٤٨].

وقد ذكره ابن جبير عند ذكر مدينة دمشق فقال «هو من أشهر جوامع الإسلام حسنًا، وإتقان بناء، وغرابة صنعة، واحتفال تنميق وتزيين. وشهرته المتعارفة فى ذلك تغنى عن استغراق الوصف فيه. . انتدب لبنائه الوليد بن عبد الملك، رحمه الله، ووجه إلى ملك الروم بالقسطنطينية يأمره بأشخاص اثنى عشر ألفا من الصناع من بلاده. . . فامتثل أمره. . فشرع فى بنائه، وبلغت الغايات فى التأنق فيه، وأنزلت جدره كلها بفصوص من الذهب المعروف بالفسيفساء، وخلطت بها أنواع من الأصبغة الغريبة، قد مثلت أشجارًا، وفرعت أغصانًا منظومة بالفصوص، ببدائع من الصنعة الأنيقة المعجزة وصف كل واصف، فجاء يغشى العيون وميضًا وبصيصًا، وكان مبلغ النفقة فيه، حسبما ذكره ابن المعلى الأسدى في جزء وضعه فى ذكر بنائه، مئة صندوق، فى كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار ومئتا ألف دينار، فكان مبلغ الجميع أحد عشر ألف ألف دينار ومئتى ألف دينار»[١٤٩].

من خلال ما تقدم من روايات تاريخية يتضح أن الجامع الأموى بدمشق شيد على أنقاض معبد وثنى قديم، كان قد تحول إلى كنيسة القديس يوحنا المعمدان شيد المسجد مكانها، وهو قائم فى قلب المدينة القديمة، وعوض المسلمون النصارى بدلاً منها، وقد جاء المسجد يشغل مساحة مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب بشكل أفقى، ويبلغ طولها ٣٠٠ ذراع بعرض ٢٠٠ ذراع (١٥٦ × ٩٧م).

قال ابن جبير «ذرعه فى الطول من الشرق إلى الغرب مئتا خطوة، وهما ثلاث مئة ذراع، وذرعه فى السعة من القبلة إلى الجوف مئة خطوة وخمس وثلاثون خطوة، وهى مئتا ذراع»[١٥٠]. وقد جاء تخطيط هذه المساحة المستطيلة من صحن أوسط مكشوف وأربعة أروقة تحيط به من جوانبه الأربعة أكبرها وأعمقها ظلة القبلة التى تمتد بطول ١٣٦م تقريبا، وبعمق ٣٦م تقريبا، وتتكون من ثلاث بلاطات تفصلها ثلاث بائكات، قال ابن جبير «وبلاطاته المتصلة بالقبلة ثلاثة مستطيلة من الشرق إلى الغرب، سعة كل بلاط منها ثمانى عشرة خطوة، والخطوة ذراع ونصف، وقد قامت على ثمانية وستين عمودًا»[١٥١].

ويتضح من المسقط الأفقى ونص ابن جبير أن البلاطات والبائكات فى ظلة القبلة تمتد من الشرق إلى الغرب موازية لجدار القبلة، وهو الأمر الذى يتضح فى ضوئه تطابق وصف ابن جبير مع تخطيط المسجد الحالى، وتكمن أهمية هذا التخطيط فى ظلة القبلة فى كونه أقدم مثل قائم فى العمارة الإسلامية، ويقطع امتداد البلاطات والبائكات الموازية لجدار القبلة فى ظلة القبلة فى الوسط بلاطة وسطى (مجاز قاطع) عمودية على جدار القبلة، يحف بها بائكتان من العقود القائمة على دعامات، تشتمل كل بائكة على ثلاثة عقود، وكان يعلو هذه البلاطة الوسطى فى عهد الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك بن مروان ثلاث قباب، قال ابن جبير يصف البلاطة الوسطى «وأعظم ما فى هذا الجامع المبارك قبة الرصاص المتصلة بالمحراب وسطه، سامية فى الهواء، عظيمة الاستدارة، قد استقل بها هيكل عظيم هو غارب لها، يتصل من المحراب إلى الصحن، وتحته ثلاث قباب: قبة تتصل بالجدار الذى إلى الصحن، وقبة تتصل بالمحراب، وقبة تحت قبة الرصاص بينهما. والقبة الرصاصية قد أغصت الهواء وسطه، فإذا استقبلتها أبصرت منظرًا رائعًا، ومرأى هائلا، يشبهه الناس بنسر طائر... ومن أى جهة استقبلت البلد ترى القبة فى الهواء منيفة على كل علو كأنها معلقة من الجو»(١٥٢).

وقد غطيت البلاطة الوسطى حاليا بجمالون تتوسطه قبة حجرية أضيفت إلى المسجد فى تاريخ لاحق على إنشائه، وبالتحديد فى سنة ٤٧٥هـ/ ١٠٨٢م من قبل السلطان ملكشاه السلجوقى عند تجديده المسجد، وتعرف هذه القبة بقبة النسر قال ابن جبير «يشبهه الناس بنسر طائر، كأن القبة رأسه، والغارب جؤجؤه، ونصف جدار البلاط عن يمين، ونصف الثانى عن شمال، جناحاه، وسعة هذا الغارب من جهة الصحن ثلاثون خطوة، فهم يعرفون الموضع من الجامع بالنسر لهذا التشبيه الواقع عليه»(١٥٣).

ويتميز سقف البلاطة الوسطى بأنه أكثر ارتفاعًا من سقف المسجد، حيث يصل ارتفاعه إلى ٢٠٣م، بينما يبلغ ارتفاع السقف فى بقية أرجاء المسجد ١٥م.

أما الصحن فقد جاء من مساحة مستطيلة يبلغ طولها ١٢٥م تقريبا، ويزيد عرضها عن ٦٠م تحيط به ظلة من جوانبه الثلاثة الشمالية الغربية والجنوبية الغربية والشمالية الشرقية، تتكون كل ظلة من بلاطة واحدة، قال ابن جبير يصف الصحن «وفى الجدار المتصل بالصحن، المحيط بالبلاطات القبلية، عشرون بابًا متصلة بطول الجدار قد علتها قسى جصية مخرمة كلها على هيئة الشمسيات فتبصر العين من اتصالها أجمل منظر وأحسنه. والبلاط المتصل بالصحن، المحيط بالبلاطات من ثلاث جهات، على أعمدة، وعلى تلك الأعمدة أبواب مقوسة تقلها أعمدة صغار تطيف بالصحن كله. ومنظر هذا الصحن من أجمل المناظر وأحسنها، وفيه مجتمع أهل البلد، وهو متفرجهم ومتنزههم كل عشية، تراهم فيه ذاهبين وراجعين من شرق إلى غرب، من باب جيرون إلى باب البريد، فمنهم من يتحدث مع صاحبه، ومنهم من يقرأ، لا يزالون على هذه الحال من ذهاب ورجوع إلى انقضاء صلاة العشاء الآخر، ثم ينصرفون، ولبعضهم بالغداة مثل ذلك، وأكثر الاحتفال إنما هو بالعشى فيخيل لمبصر ذلك أنها ليلة سبع وعشرين من رمضان المعظم لما يرى من احتفال الناس واجتماعهم، لايزالون على ذلك كل يوم»(١٥٤).

ويتسم نص ابن جبير فيما يتعلق بالصحن بالوصف المعمارى الرائع والاجتماعى البديع فى تسجيل بهاء الصحن من جهة ودوره كمتنزه لأهل البلد من جهة أخرى فمن الناحية المعمارية ومن خلال الوصف المعمارى للمسقط الأفقى يمكن القول إن ظلة القبلة تشرف عليه من خلال بائكة ممتدة من الشرق إلى الغرب موازية لجدار القبلة، وقد قسم المعمار هذه البائكة إلى ثلاثة أقسام بحيث يمثل القسم الأوسط مدخل البلاطة الوسطى (لوحة ٧)، وهو المدخل الذى يتوصل منه إلى ظلة القبلة والمحراب (لوحة ٨، ٩)، وهو عبارة عن بائكة ثلاثية من ثلاثة عقود ترتكز على عمودين فى الوسط وعلى كتفين فى الجانبين واتسم العقد الأوسط بأنه أكثر اتساعًا من العقدين الجانبيين، وقد كرر المعمار هذه البائكة بشكل زخرفى بديع فى المستوى الثانى من واجهة البلاطة الوسطى على

الصحن بحيث تعلو البائكة الثلاثية الأساسية، غير أنها فى المستوى العلوى نفذت بشكل أقل إرتفاعًا، وقد وضعها المعمار داخل إطار معقود يرتكز على كتفى مدخل البلاطة الوسطى فى تكوين زخرفى جميل، وقد زخرفت كوشات العقود فى البائكتين من جهة، وداخل العقد الذى يحدد البائكة العلوية وخارجه الذى يتمثل فى واجهة البلاطة الوسطى على الصحن بزخارف نباتية وهندسية بديعة التكوين، وهى الزخارف التى تقدم ذكرها فى النصوص التاريخية، والواجهة فى مجملها تمثل آية من آيات الفن الإسلامى.

وقد أوجد المعمار على جانبى مدخل البلاطة الوسطى أو القسم الأوسط من البائكة التى يشرف من خلالها رواق القبلة على الصحن قسمين متماثلين بواقع قسم فى كل جانب، ويتكون كل قسم من عشرة عقود أى أن القسمين يشتملان على عشرين عقدًا، وقد نفذت هذه العقود فى القسمين بشكل متناغم من الناحيتين المعمارية والزخرفية، حيث جاءت على هيئة ثلاث بائكات ثلاثية متجاورة ثم أوجد المعمار فتحة معقودة تلاصق البلاطة الوسطى، وهذا التصميم جاء متطابقًا فى جانبى البائكة، وتشرف ظلة المؤخرة على الصحن من خلال بائكة تتكون من أربعة وعشرين فتحة معقودة نفذت بهيئة زخرفية بديعة عبارة عن ثمانى بائكات ثلاثية متجاورة مما أوجد تناسقا وتناغما معماريا بين البائكتين الجنوبية والشمالية على الصحن، أما الظلتان الجانبيتان الشرقية والغربية (لوحة ١٠) فتشرف كل منهما على الصحن من خلال بائكة تتكون من تسع فتحات معقودة نفذت على هيئة ثلاث بائكات ثلاثية متجاورة بشكل زخرفى جميل فى الجانبين، وترتكز كل بائكة ثلاثية فى الجوانب الأربعة للصحن على عمودين فى الوسط وعلى كتفين فى الجانبين، وتتكون هذه البائكات من مستويين، حيث جاء المستوى العلوى من فتحات مستطيلة قصيرة معقودة. هذا وقد أمدنا ابن جبير بالقباب التى وجدت بالصحن، حيث قال «وفى الصحن ثلاث قباب: إحداها فى الجانب الغربى منه وهى أكبرها، وهى قائمة على ثمانية أعمدة من الرخام، مستطيلة كالبرج، مزخرفة بالفصوص والأصبغة الملونة، كأنها الروضة حسنًا،

وعليها قبة رصاص كأنها التنور العظيم الاستدارة، يقال: إنها كانت مخزنًا لمال الجامع.. وقبة أخرى صغيرة فى وسط الصحن مجوفة مثمنة من رخام قد ألصق أبدع إلصاق، قائمة على أربعة أعمدة صغار من الرخام وتحتها شباك حديد مستدير، وفى وسطه أنبوب من الصفر يمج الماء إلى علو، فيرتفع وينثنى... ويسمونه قفص الماء. والقبة الثالثة فى الجانب الشرقى قائمة على ثمانية أعمدة على هيئة القبة الكبيرة لكن أصغر منها»[١٥٥].

ويصف لنا ابن جبير بعض أبواب الصحن (لوحات ١١-١٣) وما تؤدى إليه فيقول «وفى الجانب الشمالى من الصحن باب كبير يفضى إلى مسجد كبير، فى وسطه صحن، قد استدار فيه صهريج من الرخام كبير.. ويعرف هذا الموضع بالكلاسة.. وفى الجانب الشرقى من الصحن باب يفضى إلى مسجد من أحسن المساجد وأبدعها وضعا وأجملها بناء يذكر الشيعة أنه مشهد لعلى بن أبى طالب، رضى الله عنه.. ومن العجيب أن يقابله، فى الجهة الغربية فى زاوية البلاط الشمالى من الصحن، موضع هو ملتقى آخر البلاط الشمالى مع أول البلاط الغربى.. يزعم أكثر الناس أنه موضع لعائشة، رضى الله عنها»[١٥٦].

ويحيط بالصحن من جوانبه الثلاثة الشمالية والشرقية والغربية رواق واحد يتكون من بلاطة واحدة، قال ابن جبير «ويستدير بالصحن بلاط من ثلاث جهاته: الشرقية والغربية والشمالية، سعته عشر خطا، وعدد قوائمه سبع وأربعون»[١٥٧].

ويذكر ابن جبير سقف المسجد بقوله «وسقف الجامع كله من خارج ألواح رصاص»[١٥٨].

ويصف لنا ابن جبير مقاصير الصلاة فى المسجد فيقول «وفى الجامع المكرم ثلاث مقصورات مقصورة الصحابة، رضى الله عنهم، وهى أول مقصورة وضعت فى الإسلام، وضعها معاوية بن أبى سفيان، رضى الله عنهما، وبإزاء محرابها عن يمين مستقبل القبلة باب حديد، كان يدخل معاوية، رضى الله عنه، إلى المقصورة منه إلى المحراب.. وبإزاء محرابها لجهة اليمين مصلى أبى الدرداء

رضى الله عنه، وخلفها كانت دار معاوية.. وهى اليوم سماط عظيم للصفارين.. ويليها لجهة الغرب، فى وسط الجامع، المقصورة التى أحدثت عند إضافة النصف المتخذ كنيسة إلى الجامع.. وفيها منبر الخطبة ومحراب الصلاة. وكانت مقصورة الصحابة أولاً فى نصف الحظ الإسلامى من الكنيسة.. فلما أعيدت الكنيسة كلها مسجداً صارت مقصورة الصحابة طرفًا فى الجانب الشرقى، وأحدثت المقصورة الأخرى وسطًا حيث كان جدار الجامع قبل الاتصال.. وهذه المقصورة المحدثة أكبر من الصحابية.. وبالجانب الغربى بإزاء الجدار مقصورة أخرى هى برسم الحنفية»[١٥٩].

وكان له أربعة أبواب هى باب البريد فى الجهة الغربية، وباب الناطفيين (الفراديس) فى الجهة الشمالية، وباب جيرون فى الشرق، أما الباب القبلى فيعرف بباب الساعات (الزيادة) لأن عمل الساعات كان بجانبه، وكان على كل باب من أبواب المسجد الأربعة فى القرن ٤هـ/ ١٠م ميضأة وفوارات ماء[١٦٠].

قال ابن جبير يصف أبواب المسجد «وله أربعة أبواب: باب قبلى، ويعرف بباب الزيادة، وله دهليز كبير متسع، له أعمدة عظام، وفيه حوانيت للخرزيين وسواهم.. ومنه يفضى إلى دار الخيل، وعن يسار الخارج منه سماط الصفارين وهى كانت دار معاوية.. وتعرف بالخضراء، وباب شرقى، وهو أعظم الأبواب، ويعرف بباب جيرون، وباب غربى، ويعرف بباب البريد، وباب شمالى، ويعرف بباب الناطفيين. وللشرقى والغربى والشمالى أيضا من هذه الأبواب دهاليز متسعة، يفضى كل دهليز منها إلى باب عظيم»[١٦١].

ويحدثنا ابن جبير عن مآذن المسجد بقوله «وللجامع ثلاث صوامع: واحدة فى الجانب الغربى، وهى كالبرج المشيد، يحتوى على مساكن متسعة وزوايا فسيحة.. والبيت الأعلى منها كان معتكف أبى حامد الغزالى.. ويسكنه اليوم الفقيه الزاهد أبو عبد الله بن سعيد من أهل قلعة يحصب المنسوبة لهم... وثانية

بالجانب الغربى على هذه الصفة، وثالثة بالجانب الشمالى على الباب المعروف بباب الناطفيين»[١٦٢].

والواقع أن المسجد كان يشتمل على أربع صوامع (مآذن) بواقع صومعة فى كل ركن من أركانه، ويرى كريزويل[١٦٣] عند ذكره المآذن التى شيدها والى مصر مسلمة بن مخلد الأنصارى لجامع عمرو بن العاص بالفسطاط بأمر من الخليفة معاوية بن أبى سفيان فى عام ٥٣هـ/ ٦٧٣م أن فكرة تشييد أربعة أماكن للنداء إلى الصلاة، واحدة فى كل ركن من أركان المسجد ربما اقتبست من الأبراج الأربعة فى أركان المعبد بدمشق (الجامع الأموى)، ويرى أيضا أن هذا الاحتمال تزايد من خلال الحقيقةالتى مؤداها أن الخليفة الذى أمر بالبناء حكم من هذه المدينة (دمشق)، وعندما قام الخليفة الأموى الوليد بزيادة مسجد المدينة جعل به مئذنة فى كل ركن، وينتهى إلى نتيجتين هما: أن الأبراج الأربعة التى كانت بالمعبد (الجامع الأموى)، وهى أبراج مربعة غير شاهقة الارتفاع عبارة عن برج فى كل ركن أصبحت بلا شك المآذن الأولى، أما النتيجة الثانية فهى أن فكرة المئذنة نشأت فى سوريا فى ظل الخلافة الأموية، وأن المآذن الأولى اشتقت معماريًا من برج الكنيسة السورية[١٦٤].

ويرى د. فريد شافعى أن الصوامع الرومانية القديمة التى ذكرها كريزويل لم تكن تعلو إلا قليلا عن سطح المسجد، لذا فهى لم تكن تصلح للدعوة للصلاة فى عاصمة كبيرة مثل دمشق، ولكنها تركت على حالتها لأنها كانت تصلح لأن تكون بمثابة قواعد رفعت فوقها منارات روعى فى تكوينها المعمارى أن يتاح للمؤذن أن يصعد إلى شرفة عالية لإعلان الأذان، والواقع أن ما ذهب إليه كريزويل يحتاج إلى دراسة مستفيضة فى كافة مصادر الحضارة الإسلامية من جهة، ووجهة صحيحة فى البحث والدراسة من جهة أخرى، فقد أمدنا ابن سعد فى الطبقات بمرحلة انتقالية لإعلان الأذان من سطح بيت إلى ظهر المسجد حيث قال ما نصه «أخبرنى من سمع النوار أم زيد ابن ثابت تقول كان بيتى أطول بيت حول المسجد فكان بلال يؤذن فوقه من أول ما أذن إلى

أن بنى رسول الله مسجده ، فكان يؤذن بعد على ظهر المسجد وقد رفع له شيء فوق ظهره»[١٦٥].

وهو الأمر الذى يتضح فى ضوئه أن بلالاً كان يؤدى الأذان من فوق مكان مرتفع عن مستوى سطح المسجد النبوى، ويمكن تخيل هذا الارتفاع على أنه كتلة بنائية من اللبن تعلو ركن المسجد حيث يتيسر إقامتها، فإنه لا يمكن إقامتها فوق سقف المسجد المكون من عوارض وسعف وخصف على سوارى من جذوع النخل، كما يمكن أن نتخيل الرقى إلى أعلى هذه الكتلة بوساطة أقتاب «درجات» توضع فوق أحد جدران المسجد.

هذا ويذكر السمهودى مرحلة أكثر تطوراً واستقلالية عن مكان الأذان فيقول «كان فى دار عبد الله بن عمر اسطوان فى قبلة المسجد يؤذن عليها بلال يرقى إليها بأقتاب والاسطوان مربعة قائمة إلى اليوم يقال لها المطمار، وهى فى منزل عبيد الله بن عبد الله بن عمر»[١٦٦].

مما تقدم يعنى أن المطمار كان عبارة عن تكوين معمارى مربع من قاعدته إلى أعلاه يرقى إليه المؤذن من خلال درجات تلتصق به من إحدى جهاته الأربع، كما يتضح أن المطمار كان خارجًا عن المسجد النبوى، وقد اتفق على هذا الموضع ابن النجار والسمهودى[١٦٧].

وقد أمدنا المؤرخ يحيى بن الحسين بنص فى غاية الأهمية يتعلق بنشأة المئذنة فى عصر الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه، حيث قال «ومن مآثر عثمان بناء المنارات للأذان وكانت فى زمنه مربعة الشكل»[١٦٨]، ومما يؤكد نص المؤرخ يحيى بن الحسين ما أورده الطبرى فى تاريخه عن الزوراء فى عصر عثمان بن عفان رضى الله عنه، حيث قال فى أحداث سنة ٣٠هـ» وفى هذه السنة زاد عثمان النداء الثالث على الزوراء»[١٦٩].

وفى ذلك أورد الشيخ عبد الحى الكتانى فى التراتيب الإدارية» فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء والزوراء قيل إنه مرتفع كالمنارة»[١٧٠].

هذا وقد ذكر السمهودى[١٧١] أن الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه يعد أول من رزق المؤذنين، وهو الأمر الذى يؤكد أن المئذنة فى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه أصبحت وحدة معمارية لها طرازها المميز، كما أصبحت وظيفة المؤذن من بين الوظائف الدينية المهمة الخاصة بأداء شعائر الصلاة.

وقد ذكر البلاذرى[١٧٢] أن جامع البصرة كان يشتمل على منارة بنيت من الحجر من قبل زياد بن أبيه والى العراق، وذلك فى عام ٤٥هـ/ ٦٦٥م وهو ما يجعلنا نقرر مطمئنين أن المئذنة وحدة معمارية عربية إسلامية خالصة، أنشأها معمار مسلم على وعى وإدراك بمتطلبات عقيدته الدينية، وفى هذا الصدد فإن التشكك فى صحة رواية البلاذرى على أساس أنه المؤرخ الوحيد الذى ذكرها يعد غير مقبول على الإطلاق من قبل المستشرقين.

مما تقدم يتضح أن كريزويل لم يتجه الوجهة الصحيحة فى دراسة أصل وتطور المئذنة، حيث كان ينبغى عليه أن يتجه ببصره مباشرة إلى المدينة المنورة والمسجد النبوى الذى يعد أصل عمارة المسجد فى العالم الإسلامى وليس إلى سوريا فى العصر الأموى.

وفيما يتعلق بزخارف المسجد فقد زين بالفسيفساء والرخام (لوحة ١٤، ١٥) والكتابات العربية حتى أصبح مثالاً للروعة والجمال، وهو الأمر الذى يتضح جليا فى النصوص التاريخية التى تقدم ذكرها على سبيل المثال وليس الحصر، ونشير هنا إلى نص مهم أورده ابن جبير عن هذه الزخارف حيث قال «وكان هذا الجامع المبارك، ظاهرًا وباطنًا، منزلاً كله بالفصوص المذهبة، مزخرفًا بأبدع زخاريف البناء المعجز الصنعة، فأدركه الحريق مرتين، فتهدم وجدد، وذهب أكثر رخامه، فاستحال رونقه، فأسلم ما فيه اليوم قبلته مع الثلاث قباب المتصلة بها، ومحرابه من أعجب المحاريب الإسلامية حسنًا وغرابة صنعة، يتقد ذهبًا كله، وقد قامت فى وسطه محاريب صغار متصلة بجداره تحفها سويرات مفتولات فتل الأسورة كأنها مخروطة، لم ير شىء أجمل منها، وبعضها حمر كأنها مرجان،

فشأن قبلة هذا الجامع المبارك، مع ما يتصل من قبابه الثلاث، وأشرق شمسياته المذهبة الملونة عليه، واتصال شعاع الشمس بها، وانعكاسه إلى كل لون منها، حتى ترتمى الأبصار منه أشعة ملونة، يتصل ذلك بجداره القبلى كله، عظيم لا يلحق وصفه ولا تبلغ العبارة بعض ما يتصوره الخاطر منه»[١٧٣].

هذا وقد حافظ المسجد الأموى على بنائه وروعة زخارفه حتى النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى، غير أنه مر بعدة مراحل من التجديد والعمارة عبر عصوره الإسلامية المتعاقبة شأنه فى ذلك شأن جميع مساجد العالم الإسلامى أذكر منها أن سقف المسجد تأثر بسبب زلزال عام ١٣١هـ/ ٧٤٨م ثم زلزال عام ٢٣٣هـ/ ٨٤٧م، وقد أضيفت لبناء المسجد فى العصر الفاطمى بعض التجديدات منها بناء قبة الرخام التى فيها فوارة الماء وذلك فى سنة ٣٦٩هـ/ ٩٧٩م وقيل فى سنة ٣٩٦هـ/ ١٠٠٥م، وهى قبة صغيرة أقيمت فى وسط صحن المسجد على أربعة أعمدة، أطلق عليها اسم قبة النوفرة، أما فيما يتعلق بمئذنة العروس التى تتوسط الرواق الشمالى فقد تهدمت وأعيد بناؤها فى العصر الفاطمى فى عام ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م، أما القبة الشرقية وتسمى قبة الساعات فشيدت عام ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م، وفى عام ٤١١هـ/ ١٠٢٠م أقيم فى صحن المسجد عمودان من الشرق والغرب بأمر قاضى المدينة لإنارة المسجد، وفى سنة ٤١٦هـ/ ١٠٢٥م شيد الشريف القاضى فخر الدين أبو يعلى حمزة بن الحسن بن العباس الحسينى الفوارة المنحدرة فى وسط جيرون، وعمل لها قناطر، وعقد عليها قبة مزخرفة، وأجرى ماءها[١٧٤].

وفى عام ٤٥٧هـ/ ١٠٦٤م تعرضت الفوارة المنحدرة التى شيدها الشريف القاضى فخر الدين فى وسط جيرون سنة ٤١٦هـ/ ١٠٢٥م للسقوط، فأعيد تشييدها مرة أخرى، ثم تعرض المسجد لحريق فى سنة ٤٦١هـ/ ١٠٦٨م، ثم جدد فى ولاية معلى بن حيدرة الكتامى (٤٦١-٤٦٨هـ/ ١٠٦٨-١٠٧٥م)، كما جدد المسجد فى عام ٤٧٥هـ/ ١٠٨٢م فى عهد السلطان ملكشاه السلجوقى[١٧٥].

والواقع أن كثيرا من الزخارف التى كشف عنها دى لورى يرجع إلى عهد السلطان ملكشاه السلجوقى عند تجديده للمسجد كما تقدم، فقد كشف الاستاذ دى لورى مدير المعهد الفرنسى فى دمشق عن أجزاء كبيرة من الفسيفساء، وذلك فى عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م، وأهم ما كشف عنه تلك الأجزاء المعروفة الآن، ومنها جزء ينسب إلى نهر بردى فى دمشق يرد فيه رسم نهر على ضفته أشجار ونباتات وبيوت، كما تظهر على النهر قنطرة، وتظهر زخارف فسيفسائية من فروع نباتية تشبه إلى حد كبير زخارف قبة الصخرة، وقليل من هذه الفسيفساء يرجع إلى عصر الإنشاء(١٧٦).

وفى سنة ٥٠٣هـ/ ١١٠٩م جددت عمارة الجدار الشمالى بأمر الوالى طغتكين من قبل الخليفة المستظهر العباسى، وفى سنة ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م كانت زلزلة عظيمة أسقطت كثيراً مما كان قد بقى من فصوص الفسيفساء، وفى سنة ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م تأثر المسجد من حريق حى اللبادين (النوفرة)، وذلك من جهة باب جيرون، وفى سنة ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م أصابه حريق آخر حين احترقت مدرسة الكلاسة وامتدت النار إلى مئذنة العروس فاحترقت، وفى سنة ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م جدد صلاح الدين ركنين من القبة، وفى سنة ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م أسقطت زلزلة عظيمة قسمًا من المنارة الشرقية، وتشققت منها قبة النسر، وفى سنة ٦٠٢هـ/ ١٢٠٥م أصلحت عدة من دعائم القبة من جهة الشمال، وفى سنة ٦١١هـ/ ١٢١٤م دعمت قبة النسر، وفى سنة ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م احترقت سلالم المنارة الشرقية والبيوت التى فى أسفلها، وفى سنة ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م جددت أربع دعائم فى قبة النسر من جهة الغرب، وفى سنة ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م احترق سوق اللبادين وسوق جيرون فامتدت النار إلى جدران المسجد ووصلت إلى قسم من السقف(١٧٧).

وفى سنة ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م تشققت بعض جدران المسجد بسبب زلزال ضرب مدينة دمشق، وفى سنة ٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م نزع الرخام من الجدار القبلى من الجهة الغربية، وقام تنكز بعمارته، وفى سنة ٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م تم ترميم الجدار القبلى، وفى سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م رمم الجانب الشرقى حتى صار كالغربى وفى سنة

٧٤هـ/ ١٣٣٩م كان الحريق الكبير فى دمشق، وامتد إلى الجامع فاحترقت أذنة الشرقية، كما احترق قسم من الجانب الشرقى، وفى سنة ١٠٦هـ/ ١٦٥٣م أصاب المسجد حريق جزئى، وهو الأمر الذى تكرر فى سنة ١١٣هـ/ ١٧١٨م وفى سنة ١١٧٣هـ/ ١٧٥٩م سقطت من المسجد قبة عائشة، نخرب المسجد فى جزء منه، وكان الحريق الثانى الذى شمل المسجد كله هو لحريق الأخير فى سنة ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م[١٧٨].

«يقول القاسمى: أما حادثة احتراقه ـ يعنى الجامع الأموى ـ العظمى.. فهي صيبة ماوقع فى مصائبه مثلها، ولادهاه علي ما مر عليه شكلها، وكأن هذا لجامع الشريف والمعبد المنيف لما تم فى البهاء بدر كماله، وانتهت للغايات بديع جماله، وتبوأت أركانه فى السمو أعلى مقام، وازدهت أرجاؤه بامتلائها على لدوام، وتباهى بعروسه وطرب صوتها، وتعاظم بقبة نسره وبعد صيتها على ما به من التحف الأنيقة والنفائس الرشيقة.. فشبت به أظفار النائبات، واغتالت مآثره السالفة يد الحادثات، وذلك باستعار نار أتت على سقفه وجدرانه، وشبت فى أبوابه وسداته وأركانه، فتهدم صف من الأعمدة من جهته الغربية، ودخلت بيت الخطابة المنير، فأحرقت ما بها من المآثر حتى شملت المصحف العثمانى الكبير، وذلك ضحوة يوم السبت رابع ربيع الثانى سنة ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م[١٧٩].

وبعد مضى بضعة أشهر على حريق المسجد اهتم أهل البلد بتنظيفه من التراب المتراكم فيه ومن أنقاضه، ثم عقد الجمعيات من الرؤساء لجمع اكتتاب من أهل الشام لعمارة المسجد، ثم أخذوا فى العمل، وابتدأوا فى جانب الجامع الشرقى واقتطعوا الأعمدة من جبل ظاهر المزة حتى تم بناء النصف الشرقى فى أواخر شعبان سنة ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م، وقاموا بفرش هذا القسم بالسجاد وتعليق الثريات والمصابيح وإمداد ما يلزم ليصلح للصلاة فيه فى غرة رمضان المبارك، ثم أقيم حائل من الخشب ليقى المصلين من البرد والحر النافذ من القسم الغربى، ونقل المنبر من المشهد الغربى، ووضع جانب المحراب المعروف بمحراب المالكية خلف المقام اليحيوى، وأقيمت الجمع والصلوات فيه، ثم أخذوا فى التأنق بأحجار

محراب الحنفية والمنبر، وقاموا برفع سقف الجهة التى تشتمل على المحراب والمنبر، ورفع سطح القبة، وما أمامها من سقف سدة المؤذنين وتشييدها إلى أن تمت عمارة هذه الناحية فى منتصف شعبان سنة ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م، واحتفل بافتتاحها يوم المولد السلطانى، وفرشت هذه الجهة بالسجاد، وأخر الحائل على محاذاة ركنى القبة الغربيين إلى أن يتم بناء الجامع، وقد أرخ إعادة القبة الأديب الشيخ عبد الرحمن القصار بقوله:

وحينما كملت فى يوم مولده باليمن أرخت عادة قبة النسر.

وفى يوم الجمعة سلخ شعبان من السنة المذكورة خطب على المنبر الجديد، وأزيل منبر الخشب الموضوع جانب محراب المالكية خلف المقام اليحيوى، ثم فى جمادى الأولى من عام ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م كملت عمارة الجهة الغربية من المسجد، فتم بناؤه على أحسن نظام، وأبدع إحكام، حيث استغرقت العمارة سبع سنوات، فجاء على أحكم بنيان وقد احتفل بافتتاح نصفه الغربى المذكور فى يوم الجلوس السلطانى المشهور وذلك فى ٢٨ جمادى الأولى من السنة المذكورة(١٨٠).

قصور الوليد

يعد قصر البرقع (شكل ١٤) من القصور التى ترجع إلى عصر الوليد بن عبد الملك، وتدل بقاياه على أنه يتكون من فناء تحيط به الجدران من الجوانب الأربعة، وقد جاء هذا الفناء من مساحة غير منتظمة تشتمل فى زاوية منها على برج مستطيل، وقد حدد هذا الفناء من الجانبين الشمالى الغربى والجنوبى الغربى من خلال جدار بسيط، كما حدد من الجانبين الجنوبى الشرقى والشمالى الشرقى من خلال مجموعة من الحجرات، ويتسم القصر كما يذكر كريزويل باشتماله على سمتين هامتين فى تاريخ العمارة الأموية، تتمثل الأولى فى الحجرة المقببة، وتتمثل الثانية فى مجموعة الحجرات حول الفناء المركزى، وتمثل الحجرة المستديرة فى إعتقاد كريزويل المرحلة الأولى من المراحل الأربع للبناء من الناحية المعمارية، وهى الحجرة التى اشتملت على طابق ثان، أما المرحلة الثانية فتتكون من الفناء

والحجرات أرقام ٢، ٣ ، ٥، ٧، ٩، ١٠ وربما الحجرة رقم ٦، والمرحلة الثالثة تتكون من الحجرة رقم ٤ على المسقط الأفقى والتى أضيفت إلى الحجرة رقم ٣، ومن المحتمل الحجرة رقم ٦، أما المرحلة الأخيرة فتتكون من الحجرات ١، ٨، ١٢، وأيضا الحجرة رقم ١١، ويفضى السلم على واجهة الفناء بين الحجرات إلى الحجرتين ٣, ٥[١٨١].

قصر الوليد بالمنية

يقع هذا القصر (خربة المنية) بالقرب من الشاطئ الشمالى الشرقى لبحيرة طبرية (شكل ١٥)، شيده الخليفة الوليد بن عبد الملك، حيث وجد شنايدر كما يذكر كريزويل فى بناء الجزء المرمم من برج المدخل الرئيسى جزءً من لوح رخامى يشتمل على كتابة كوفية باسم الوليد، غير أنه مما يؤسف له أن التاريخ عليها مفقود، ويضيف كريزويل أن أول من كشف عنه هو مادر الذى بدأ حفرياته فيه عام ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م، وقام شنايدر بأعمال أخرى فيه سنة ١٣٥٦-١٣٥٨هـ/ ١٩٣٧-١٩٣٩م[١٨٢].

وقد جاء القصر يشغل مساحة مستطيلة تمتد بشكل رأسى من الشمال إلى الجنوب، وقد أوجد المعمار مدخله الرئيسى فى الجدار الشرقى، ويلاحظ أن هذا المدخل لا يتوسط الجدار الشرقى تمامًا بل هو أقرب إلى الجهة الشمالية منه إلى الجهة الجنوبية، وبسبب وجود المدخل فى هذه الجهة من عمارة القصر خلا هذا الجدار من برج نصف دائرى كما هو الحال فى بقية الجدران، فقد اشتملت الجدران الجنوبية والغربية والشمالية على أبراج نصف دائرية بواقع برج يتوسط كل جدار، وقد ميز المعمار برج الجدار الشمالى عن البرجين الآخرين، حيث جاء مجوفًا من الداخل يفتح على قاعة مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب، كما يشتمل القصر فى كل ركن من أركانه الأربعة على برج زاوية، وقد جاءت هذه الأبراج متطابقة فى التصميم والعمارة، ويبلغ قطر كل برج من الأبراج التى جاءت بهيئة نصف دائرية ٤م، أما الجدران فقد جاءت بسمك ١,٤م، وهى متقنة من حيث العمارة بنيت من أحجار كلسية محلية فوق أساس

بارز من البازلت يبلغ ارتفاعه ٤٠سم، وهى لاتزال باقية فى بعض مواضع منها حتى ارتفاع ٤,٥م(١٨٣).

أما فيما يتعلق بالمدخل الرئيسى الذى يتوصل منه إلى داخل القصر فقد أوجده المعمار فى الجدار الشرقى، وهو لا يتوسط هذا الجدار تمامًا، حيث أوجده المعمار بشكل أكثر قربًا من الجدار الشمالى وبرج الزاوية الذى يقع فى الركن الشمالى الشرقى، ويبلغ عرض هذا المدخل ١٦,٥م، ويتكون من قاعة مربعة يبلغ طول ضلعها ٦م، وقد أوجد المعمار هذه القاعة بين برجين ربع دائريين، وبحيث يشتمل كل ربع برج من الداخل على تجويف نصف دائرى فى الجهتين الشرقية والغربية بواقع تجويف فى كل جهة، وتزدان القبة بزخارف نباتية بديعة، ويتوصل من هذا المدخل ذى التصميم المتقن إلى فتحة مدخل جاءت بعرض ٣,٧٥م، وهى الفتحة التى أوجدها المعمار فى الجدار الشرقى للقصر، ثم يتوصل من خلال هذه الفتحة إلى دهليز مستطيل يمتد بشكل أفقى من الشرق إلى الغرب، وقد جاء باتساع ٧م، وبطول ١١,٥م، ويفضى هذا الدهليز مباشرة إلى الفناء الرئيسى مباشرة، حيث يفتح بكامل اتساعه عليه.

وهنا يذكر كريزويل أن الحفريات أظهرت رواقًا يلتف حول الصحن من الجوانب الأربعة، ويتكون هذا الرواق نتيجة وجود صف من الأعمدة والدعائم بشكل متماثل فى الجهات الأربع، وجاء كل صف من ستة أعمدة حصرها المعمار بين دعامتين، وهو الأمر الذى يتضح فى ضوئه أن الصحن اشتمل على أربع دعامات ذات تصميم على هيئة حرف الدال، وتحصر هذه الدعامات بينها أعمدة تتكون فى كل صف من الصفوف الأربعة من ستة أعمدة(١٨٤).

ويتكون القسم الجنوبى من القصر والذى يتوصل إليه من خلال الرواق الجنوبى من مساحة مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب بشكل أفقى، وقد قسم المعمار هذه المساحة إلى عدة أقسام تتفق جميعًا فى أن كل قسم منها يمتد رأسيًا من الشمال إلى الجنوب، وتتباين هذه الأقسام فى اتساعها بينما تتطابق فى عمقها

وتتوسط هذا القسم من عمارة القصر قاعة مربعة يبلغ طول ضلعها ٢٠م، حيث تتميز بعظم مساحتها، يتوصل إليها من الرواق الجنوبى الذى يشرف مباشرة على الصحن من خلال ثلاثة مداخل، يتميز المدخل الأوسط بأنه أكثر اتساعا من المدخلين الجانبيين، أما فيما يتعلق بتخطيط القاعة فقد جاءت عبارة عن ثلاثة أروقة رأسية من الشمال إلى الجنوب، ويتميز الرواق الأوسط بأنه أكثر اتساعًا من الرواقين الجانبيين وذلك من خلال بائكتين تمتدان من الشمال إلى الجنوب، وتتكون كل بائكة من أعمدة ودعامات، وهى بائكة رباعية ترتكز من الجهة الشمالية على دعامة بارزة بالجدار الشمالى ومن الجهة الجنوبية على دعامة بارزة بالجدار الجنوبى ويلاحظ أن البرج الذى يتوسط الجدار الجنوبى لا يتوسط الرواق الأوسط تمامًا فى هذه القاعة بل ينحرف قليلاً جهة الشرق.

ويشير كريزويل إلى أنه عثر على بقايا ألواح رخامية فى أرض وجدران هذه القاعة. ويصل هذا الرخام إلى ارتفاع معين بعده تزدان الجدران بالفسيفساء أما الأرض فقد غطيت بقطع فسيفساء زجاجية صغيرة بعضها ملون والبعض الآخر مطعم بأوراق الذهب(١٨٥).

هذا وقد أوجد المعمار إلى الشرق من هذه القاعة قاعة أخرى مستطيلة جاءت باتساع ٩,٧م وبعمق ١٩,٤٢م تنقسم إلى رواقين متطابقين من حيث العمق والاتساع، وذلك من خلال بائكة تتطابق فى تكوينها وعمارتها مع البائكتين فى القاعة السابقة، ويتوصل إلى هذه القاعة من القاعة ذات الأروقة الثلاثة كما يتوصل من هذه القاعة المستطيلة التى أغلقها المعمار من الجهة الشمالية أى جهة الصحن إلى المسجد، حيث تشتمل هذه القاعة فى نهاية جدارها الشرقى من الجهة الجنوبية على فتحة يتوصل منها إلى مساحة مستطيلة تمثل مسجد القصر.

ويذكر كريزويل أنه لم يعثر فى هذه القاعة فيما يتعلق بالبائكة الرباعية إلا على قاعدتى عمودين فى موقعهما(١٨٦).

أما المسجد فيشغل الزاوية الجنوبية الشرقية من عمارة القصر، وهو عبارة عن

مساحة مستطيلة تمتد راسيًا من الشمال إلي الجنوب، وتمتد هذه المساحة بعرض ١٣,١م من الشرق إلى الغرب وبعمق ١٩,٤٢م من الشمال إلى الجنوب، يتوصل إليه من المدخل الرئيسى والفناء عند الركن الجنوبى الشرقى، حيث تفضى فتحة مدخل فى هذه الزاوية إلى دهليز مستطيل يتقدم المسجد من الجهة الشمالية، ويفتح هذا الدهليز بكامل اتساعه تقريبًا على المسجد، كما يتوصل إلى هذا المسجد أيضًا من القاعة السابقة من خلال فتحة تقع عند نهاية الجدار الفاصل بين المسجد والقاعة المستطيلة، وهى الفتحة التى تقدم ذكرها عند ذكر القاعة التى تفصل بين عمارة المسجد والقاعة ذات الأروقة الثلاثة ويتكون المسجد من ثلاث بلاطات من خلال ثلاث بائكات تمتد من الشرق إلى الغرب موازية لجدار القبلة، وترتكز هذه البائكات من جهة على أعمدة فى الوسط يبلغ عددها ثلاثة أعمدة ومن جهة أخرى على الجدارين الشرقى والغربى، وقد أوجد المعمار مساحة مستطيلة تتقدم هذه البلاطات من الجهة الشمالية تمتد بنفس امتداد البلاطات غير أنها أكثر عمقًا من بقية البلاطات، وهذه المساحة هى التى يفضى إليها مدخل المسجد من جهة الصحن مباشرة.

ويذكر كريزويل أن محراب هذا المسجد قد اكتشف فى عام ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م(١٨٧).

هذا فيما يتعلق بالقسم الذى يقع إلى الشرق من القاعة ذات الأروقة الثلاثة أما فيما يتعلق بالقسم الغربى فيشتمل على وحدتين معماريتين إحداهما تقع إلى الغرب مباشرة من القاعة ذات الأروقة الثلاثة، ويتوصل إليها أيضًا من هذه القاعة من خلال ثلاث فتحات تتسم الفتحة الوسطى بأنها أكثر اتساعًا من الفتحتين الجانبيتين مما أوجد تناسقا بديعا وتناغما رائعا فى تصميم الفتحات فى الجدارين الشرقى والغربى للقاعة ذات الأروقة الثلاثة، وتشتمل هذه الوحدة المعمارية على قاعة مستطيلة فى الوسط تمتد بشكل أفقى من الشرق إلى الغرب يتوصل إليها من الفتحة الوسطى، وقد أوجد المعمار أربع قاعات مستطيلة فى الجهتين الشمالية والجنوبية بواقع قاعتين فى كل جانب وتفتح هذه القاعات الأربع

على القاعة الوسطى من خلال أربع فتحات بواقع فتحة بكل قاعة وقد وزعت هذه المداخل بشكل متناغم من ناحية التصميم والعمارة، كما يتوصل من الفتحتين الجانبيتين بالجدار الغربى للقاعة ذات الأروقة الثلاثة إلى قاعتين من هذه القاعات بواقع فتحة فى كل قاعة، وهذه الوحدة المعمارية تمثل فى مجملها تطوراً هندسيًا ومعماريًا بديعًا ويذكر كريزويل أن أرض هذه الغرف كلها من الفسيفساء، وهى محفوظة فى حالة جيدة، تزدان بتكوينات زخرفية هندسية، كما أن أعتاب الأبواب تزدان بفسيفساء محفوظة أيضا فى حالة جيدة(١٨٨)، أما الوحدة المعمارية الأخرى التى تقابل فى موقعها عمارة المسجد فهى تقع فى الزاوية الجنوبية الغربية، وهى عبارة عن مساحة مستطيلة يتوصل إليها من الصحن من خلال فتحة تقابل الفتحة التى يتوصل منها إلى المسجد، غير أن هذه الفتحة هنا تتسم بأنها أكثر اتساعاً، ثم ينعطف منها الداخل يساراً حتى يصل إلى داخل هذه الوحدة المعمارية، وقد أوجد المعمار فى نهاية الدهليز الذى يتوصل منه إلى هذه الوحدة إلى سلم ثم إلى قاعة يغطيها قبو متقاطع، أما القاعة المستطيلة فتشتمل على حجرة مستطيلة تمتد رأسيًا من الشمال إلى الجنوب فى الركن الشمالى الغربى للقاعة، كما تشتمل على أخرى مستطيلة تمتد أفقيًا من الشرق إلى الغرب تقع فى الزاوية الجنوبية الغربية وتتصل هذه الحجرة بالجدار الفاصل بين هذه القاعة والقاعة السابقة بجدار قصير مما أوجد حجرة صغيرة مستطيلة تمتد رأسيًا من الشمال إلى الجنوب، وقد أوجد المعمار بين هذه الحجرات الثلاث مساحة غير منتظمة.

أما فيما يتعلق بالقسم الشمالى من عمارة القصر والذى يشرف من خلال الرواق الشمالى على الصحن فيتكون من مساحة مستطيلة تمتد أفقيًا من الشرق إلى الغرب، وتبدأ هذه المساحة من الجهة الشرقية بحجرتين مستطيلتين متوازيتين تمتدان من الشرق إلى الغرب ثم نجد قاعة مستطيلة تتميز بعظم مساحتها، وتمتد من الشرق إلى الغرب أيضًا، يتوصل إليها من الصحن من الرواق الشمالى، وإلى الغرب من هذه القاعة أوجد المعمار وحدة معمارية تتكون من قاعة وسطى

مستطيلة تمتد رأسيًا من الشمال إلى الجنوب تفتح على الرواق الشمالى الذى يفتح بدوره على الصحن، وقد أوجد المعمار على جانبى هذه القاعة من الجهتين الشرقية والغربية أربع حجرات مستطيلة تفتح على القاعة الوسطى بواقع أربع فتحات، وذلك بواقع غرفتين فى كل جهة، وبواقع فتحة فى كل غرفة، وقد وزعت الحجرات والفتحات بشكل متناغم، وتفتح الوحدة المكونة من حجرتين بالجهة الغربية على الرواق الشمالى والصحن بينما أغلق المعمار الوحدة مثيلتها فى الجهة الشرقية، وينتهى هذا القسم من عمارة القصر فى الركن الشمالى الغربى بحجرتين مستطيلتين متواريتين تمتدان بشكل أفقى من الشرق إلى الغرب يتوصل إليهما من فتحة بالرواق الشمالى فى الركن الشمالى الغربى من الصحن تؤدى إلى سلم ثم إلى قاعة يغطيها قبو متقاطع أى تتطابق والفتحة مثيلتها التى تقدم ذكرها بالزاوية الجنوبية الغربية مما أوجد تناسقًا وتناغمًا هندسيًا على عمارة القصر.

هذا وقد أوجد المعمار بين الفتحتين السابقتين قاعة مستطيلة تتميز بعظمها من حيث المساحة وذلك فى الجهة الغربية، حيث تمثل هذه القاعة القسم الثالث من عمارة القصر، وتمتد هذه القاعة من الشمال إلى الجنوب، ويتوصل إليها من الرواق الغربى والصحن، حيث يتقدم هذا الرواق هذه القاعة المستطيلة وتشتمل هذه القاعة على ثلاث دعامات بارزة فى جدارها الغربى، ويلاحظ أن البرج الذى يتوسط الجدار الغربى للقصر من الخارج لا يتوسط تمامًا الجدار الغربى لهذه القاعة، حيث إنه أقرب إلى جدارها الجنوبى منه إلى جدارها الشمالى كما هو الحال بالنسبة للبرج والقاعة ذات الأروقة الثلاثة فى الجدار الجنوبى.

أما القسم الرابع من عمارة القصر فيقع فى الجهة الشرقية على جانبى دهليز المدخل الرئيسى، حيث ينقسم إلى قسمين أحدهما يقع بالجهة الشمالية ويتكون من ثلاث قاعات مستطيلة تفتح على الرواق الشرقى الذى يشرق بدوره على الصحن، وهى قاعات مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب بشكل أفقى، غير أن المعمار قسم القاعة الثالثة جهة المدخل إلى قاعتين من خلال دعامة وفتحة

مدخل، أما القسم الجنوبى من هذا الجانب وهو القسم المحصور ما بين دهليز المدخل والمسجد فيتكون من عدة حجرات صغيرة.

المجموعة المعمارية الأموية المركبة بالقدس (شكل ١٦)

يذكر كريزويل أن الحفائر التى أجريت فى القدس أسفل الحرم القدسى إلى الجنوب الغربى من المسجد الأقصى خلال الفترة من ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م إلى ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م أثبتت وجود ستة أبنية بوضوح، خططت على هيئة مجموعة معمارية واحدة بالحرم الشريف، ويعد البناء رقم ٢ على المسقط الأفقى أعظم هذه الأبنية أهمية، حيث رجح الذين قاموا بالحفر أنه عبارة عن قصر، وتبلغ مقاييسه على وجه التقريب ٨٤ × ٩٦م، وجاءت جدرانه الخارجية بسمك يتراوح بين ٢,٧٥ - ٣,١٠م، ويتألف تخطيط هذا القصر من فناء أوسط مكشوف بلط بالحجر بمقاييس تتراوح بين ٣٠ × ٣٠ سم و ٦٠ × ٧٠ سم، تحيط بهذا الفناء ظلة ترتكز على أعمدة، وينخفض مستوى الفناء والظلة قليلا عن البناء المحيط، ويتكون هذا البناء من مجموعة من القاعات المستطيلة، وهى متماثلة فى الجانبين الشمالى والجنوبى، كما أنها متماثلة أيضا فى الجانبين الشرقى والغربى، وقد جاءت القاعات الشمالية والجنوبية بطول يبلغ نحو ١٧م، بينما جاءت القاعات الشرقية والغربية بطول يبلغ نحو ٢٠م، وجميع القاعات تتراوح فى اتساعها بين ٤م أو ٨م، أما الأقبية فقد حملت على دعامات ترتبط بالجدران الطولية، ويتوصل إلى هذه القاعات من الظلة، وكان القصر يشتمل على بابين رئيسيين فى الجانبين الشرقى والغربى، بواقع باب يتوسط كل ضلع، والمدخل الرئيسى كان فى الجانب الشرقى، وكان باتساع ٤,٥م، وبارتفاع يبلغ ٦,٥م[١٨٩].

قصر الحرانة (الخرانة) (شكل ١٧، ١٨)

يعد هذا القصر من القصور التى تنتمى إلى عهد الوليد بن عبد الملك فقد عثر فيه على كتابة كوفية، وذلك فوق باب احدى حجرات الطابق الثانى من الجهة الغربية، وهى تشتمل على تاريخ ٩٢هـ (٧١١م)، ويقع على بعد ٦٥كم شرق وجنوب شرق عمان، وقد وصف هذا القصر فى البداية كما يذكر كريزويل من

قبل Musil، ثم نشر فيما بعد بتفاصيل كبيرة من خلال Jaussen و Savignac، وقصر حرانة تقريبًا عبارة عن بناء مربع مقاييسه ٣٦,٥٠م من الشمال إلى الجنوب، ويمتد من الشرق إلى الغرب بمقدار ٣٥,٤٥م، وقد شيد من أحجار كبيرة تغطيها طبقة من الملاط، وترتفع المداميك بمقدار يتراوح بين ٥٥سم و ٥٨ سم، وكان البناء كله قد غطى بطبقة ملاط خارجية(١٩٠).

ويتضح من المسقط الأفقى أن القصر يتكون من طابقين أحدهما يمثل الطابق الأرضى ، ويمثل الآخر الطابق الأول، ويشتمل كل منهما على سور يشتمل بدوره على أبراج شبه دائرية فى الأركان يبلغ عددها أربعة أبراج بواقع برج فى كل ركن، وهى أبراج مصمتة، كما يشتمل القصر على ثلاثة أبراج نصف دائرية فى الجهات الشمالية والشرقية والغربية بواقع برج يتوسط كل ضلع، وقد أوجد المعمار البرجين فى الضلعين الشرقى والغربى على محور واحد فى تناغم هندسى بديع، أما البرج الذى يتوسط الضلع الشمالى فيقع على محور المدخل الرئيسى والوحيد الذى يتوصل منه فى الجهة الجنوبية إلى داخل القصر، ويشتمل السور فى الطابقين على فتحات فرعية ودخلات، ونصل إلى داخل القصر من الجهة الجنوبية من خلال مدخل يتكون من برجين على هيئة ربع دائرية، وقد أوجد المعمار بينهما مساحة مستطيلة يتوصل منها إلى فتحة المدخل التى تؤدى بدورها إلى داخل القصر، ويفضى المدخل إلى ممر يبلغ اتساعه من الشرق إلى الغرب ٣,٥٠م، أما امتداده من الجنوب إلى الشمال فيبلغ ٩,١٥م، وقد غطى هذا الممر بخمسة أقبية حملت على عقود مدببة، أما الفناء فقد جاء يتوسط القصر، وهو يمتد من الشمال إلى الجنوب بمقدار ١٢,٦٥م، ومن الشرق إلى الغرب بمقدار ١٢,٩٥م، ويشتمل الفناء فى جانبه الشمالى على ثلاثة أبواب تتميز فتحة الباب الأوسط بأنها أكثر اتساعًا من البابين الجانبيين، كما يشتمل كل من الجانبين الشرقى والغربى على أربع فتحات بواقع فتحتين فى كل جانب، وتحيط بهذا الفناء ظلة من الجوانب الأربعة، وهى متماثلة فى الجهات الأربع.

المجموعة المعمارية جنوب شرق دمشق (القصر والمسجد والحمام) (أشكال ١٩-٢١)

أورد كريزويل قصراً آخر يقع على بعد نحو ١٠٥كم جنوب شرق دمشق، وهو ضمن مجموعة معمارية تتكون منه ومن مسجد، وحمام، ومن منزلين كبيرين، ومخزن، ثم من منزلين آخرين كبيرين، وقد عرف الموقع أولاً من قبل Vogüé فى سنة ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م، ولكن حتى عام ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م لم تكن هناك دراسة متصلة حتى وضعت من قبل Sauvaget وقد باشر Brisch الحفائر فى سنة ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م و ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م (١٩١).

ويتألف القصر من مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها ٦٧,١١م من الخارج، ويشتمل فى كل ركن من أركانه الأربعة على برج شبه دائرى، وهو مجوف من الداخل، حيث يتصل بتجويفه بالقصر من الداخل، كما يشتمل على ثلاثة أبراج فى الجهات الجنوبية والشرقية والغربية بواقع برج نصف دائرى يتوسط كل ضلع من الأضلاع الثلاثة، وقد أوجد المعمار البرجين الشرقى والغربى على محور واحد، أما البرج الذى يتوسط الجدار الجنوبى فيقع على محور المدخل الذى يتوسط الضلع الشمالى، والأبراج الثلاثة مجوفة على غرار الأبراج الأربعة التى تقع فى أركان القصر.

أما برج المدخل فقد جاء باتساع ٩,١٧م، ويبرز نحو ٤,٦٠م، وقد جاء من تصميم عبارة عن جانبين، كل جانب بهيئة ربع دائرية تشتمل فى داخلها على تجويف مستطيل، حيث ندخل من خلال مساحة مستطيلة رأسية تمتد من الشمال إلى الجنوب، ثم نصل إلى مساحة أخرى مستطيلة أفقية تمتد من الشرق إلى الغرب بتجويف مستطيل فى جانبى البرج ثم نصل إلى فتحة المدخل التى يتوصل منها إلى دهليز المدخل، وهو عبارة عن مساحة مستطيلة تمتد من الشمال إلى الجنوب تفضى بدورها إلى الفناء الذى يتوسط القصر، وتحيط بالصحن من الجوانب الأربعة بائكة متماثلة فى التصميم والعمارة فى الجوانب الأربعة، وهى عبارة عن سبعة عقود ترتكز على دعامات، وجاءت الدعامات الأربع فى أركان

البائكة على هيئة حرف L فى وضع معدول وآخر مقلوب، حيث إنها تحمل عقدين من جهتين مختلفتين، وتتكون كل بائكة فى كل جانب بين هذه الدعامات من سبع فتحات ترتكز على ست دعامات من جهة وعلى الدعامتين الركنيتين من جهة أخرى، وقد نتج عن ذلك وجود رواق يلتف حول الصحن من الجهات الأربع، ويفتح هذا الرواق بدوره على الأقسام الأربعة للقصر من خلال فتحات أبواب تفضى إلى الحجرات والايوانات، والقصر فى مجمله يمثل وحدة بنائية متناسقة من حيث التخطيط والعمارة.

المسجد والحمام

وعلى مسافة تبعد نحو ٧٠م إلى الغرب من القصر يوجد مسجد صغير عبارة عن مساحة مربعة تقريبًا، يبلغ فى مقاييسه من الداخل ٩,٣٤م × ٩,٤٨م بجدران من البازلت يبلغ سمكها ما بين ٨٠سم إلى ٩٠سم، ويتوصل إلى داخل المسجد من مدخلين أحدهما فى الجانب الشمالى، ويقع الآخر فى الجانب الشرقى، وقد قسم المسجد من الداخل إلى بلاطتين موازيتين لجدار القبلة، وذلك من خلال بائكة تتوسط المسجد تقريبًا تتكون من عقدين يرتكزان فى الوسط على دعامة وفى الجانبين على بروزين بالجدارين الشرقى والغربى، وتمتد البائكة من الشرق إلى الغرب موازية لجدار القبلة، ويفتح المدخل الذى يقع فى مؤخر المسجد على البلاطة الثانية، ويقع هذا المدخل على محور المحراب، أما المدخل الآخر فيفتح على البلاطة الأولى التى تتقدم المحراب، وجاء تصميم العقدين فى البائكة بهيئة نصف دائرية(١٩٢).

أما الحمام فيقع على بعد ١٥٠م إلى الشرق من القصر، حيث توجد بقاياه وقاعة استقبال رسمية، أما مقاييس البناء فهى نحو ١٦ × ١٧م، وقد بنيت الأجزاء السفلية التى وصلت إلينا من الجدران بالبازلت، أما بقية البناء فكان بدون شك من الآجر، ويتكون البناء من قاعة كبيرة يغطيها قبو برميلى باتساع يبلغ ٤,٣٧م، وبطول يبلغ ١٠م تنتهى بتجويف نصف دائرى، ويفصل بين

التجويف والقاعة عقد، وفى الجهة المقابلة لهذا التجويف أوجد المعمار قاعتين مستطيلتين إحداهما أكثر إتساعا من الأخرى غير أنهما يتفقان فى العمق الذى يبلغ ٣,٥م، وتفضى القاعة المستطيلة ذات القبو البرميلى إلى قاعة أخرى مستطيلة تفضى بدورها إلى قاعة مربعة، ويتوصل من هذه القاعة الأخيرة إلى قاعة أخرى مربعة أوجد المعمار بها تجويفين، وأغلب الظن أنها كانت مغطاة بقبة كما يذكر كريزويل(١٩٣).

قصر عنجر (عين الجر) (شكل ٢٢)

يقع هذا القصر فى منتصف الطريق بين دمشق وبيروت، يتكون البناء من مساحة مسورة جاءت بمقاييس تبلغ ٣١٠م من الشرق إلى الغرب، وتبلغ من الشمال إلى الجنوب ٣٧٠م، وتشتمل الجدران التى جاءت بسمك ٢م فى الأركان على أربعة أبراج شبه دائرية بواقع برج فى كل ركن، وقد جاءت هذه الأبراج مجوفة يتوصل إليها من داخل البناء، أما الجدران فيما بين الأبراج الركنية فتشتمل على أبراج نصف دائرية يبلغ عددها ٣٦ برجًا، وقد وزعت هذه الأبراج على الجدران الأربعة أى أن المجموع للأبراج يبلغ ٤٠ برجًا، ويشتمل البناء على أربعة مداخل فى الجدران الأربعة بواقع مدخل فى كل ضلع، وقد أوجد المعمار برجين على جانبى كل مدخل، وبالتالى يبلغ عددها ثمانية أبراج، وهى مصمتة ومتماثلة من حيث التصميم والعمارة، ويشتمل الجدار الشمالى على ستة أبراج قام المعمار بتوزيعها على جانبى المدخل بشكل متناغم حيث أوجد ثلاثة أبراج فى الجهة الشرقية من المدخل ومثلها فى الجهة الغربية، ويماثل هذا الجدار الجدار الجنوبى من حيث المدخل والأبراج فى تناسق هندسى بديع، حيث يقع المدخل الشمالى على محور المدخل الجنوبى، كما أن الأبراج على جانبى المدخل تقع على محور الأبراج على جانبى المدخل فى الجدار الجنوبى، أما فى الجدارين الشرقى والغربى فقد أوجد المعمار أربعة أبراج فى الجهة الشمالية من الجدار الشرقى ومثلها فى الجهة الجنوبية من ذات الجدار، وذلك على جانبى المدخل، ويماثل الجدار الغربى مثيله الشرقى من حيث أن المدخلين يقعان على محور

واحد، كما أن الأبراج فى الجدارين تقع أيضًا على محور واحد فى تناغم وتناسق هندسى رائع، ويبلغ اتساع كل مدخل من المداخل التى جاءت متماثلة ٣,٠٨م، وقد جاءت الجدران بسمك ٢م من كتل حجرية، ووجدت الشرافات تتوج هذه المساحة المسورة، وقد قسمت المساحة الداخلية إلى أربعة أجزاء من خلال صفين من الأعمدة تصل ما بين الأبواب الأربعة، وتتقاطع هذه الصفوف فى الوسط(١٩٤).

أما القصر فتبلغ مقاييسه ٧١م × ٥٩,٥م، وجاءت جدرانه الخارجية بسمك يبلغ ١,٢٠م، ويشتمل على مدخلين يقعان على محور واحد أحدهما فى الجهة الشرقية، والآخر فى الجهة الغربية، ويؤدى كل منهما إلى حجرة يبلغ عمقها ١١م، أما اتساعها فيبلغ ٦,٥م، ونصل من الحجرتين إلى الفناء الأوسط الذى يتوسط القصر، وهو عبارة عن مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها ٣٢,٥م، ويحيط بالفناء رواق من الجوانب الأربعة، وذلك من خلال وجود بائكة فى كل جانب من جوانب الصحن تشرف عليه، وتتكون البائكة فى كل جانب من جوانبها من ستة أعمدة ودعامتين على هيئة حرف L فى وضع معدول ومقلوب، وهو التصميم الذى وجد فى قصر الوليد بالمنية، وفى القصر جنوب شرق دمشق، ويتوصل من هذا الرواق فى الجانبين الشمالى والجنوبى إلى وحدتين معماريتين متماثلتين، تتكون الوحدة الجنوبية من مساحة مستطيلة قسمها المعمار إلى ثلاثة أروقة طولية تمتد من الشمال إلى الجنوب، وتتميز المساحة الوسطى بأنها أكثر اتساعًا من المساحتين الجانبيتين، فينتهى الرواق الأوسط بتجويف نصف دائرى، ويتوصل إلى هذه القاعة البازليكية من خلال مدخل يتوسط الجدار الشمالى، كما أوجد المعمار على جانبى هذه القاعة ثلاث حجرات، يتوصل من الأولى والثانية من جهة الجدار الشمالى من الرواقين الجانبيين للقاعة البازيلكية، أما القاعة أو الحجرة الثالثة فى الجانبين من الجهة الجنوبية فيتوصل إليها من الحجرة الثانية أو الوسطى فى تناسق وتناغم هندسى رائع، وتماثل هذه الوحدة بمكوناتها المعمارية

الوحدة التى تقع مقابلها فى الجهة الشمالية، أما فيما يتعلق بالجانبين الشرقى والغربى من القصر فقد اشتمل كل منهما على مجموعة من الحجرات.

أما المسجد فتبلغ مقاييسه نحو ٤٧م فى الاتساع، أما عمقه فيبلغ نحو ٣٠م، ويتكون بيت الصلاة فيه من بلاطتين عميقتين، ويتكون الرواق الشمالى من بلاطة واحدة عميقة، وجاء المحراب باتساع ١,٩٣م، وقد بقيت القاعدة الحجرية للمقصورة.

أعمال الوليد بن عبد الملك المعمارية فى الحجاز والقدس واليمن

عمارة المسجد النبوي (شكل ٢٣، ٢٤)

ومن أعمال الوليد المعمارية عمارة المسجد النبوى، قال ابن الأثير فى أحداث سنة ٨٨هـ/ ٧٠٦م «وفى هذه السنة كتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز فى ربيع الأول يأمره بإدخال حجر أزواج النبى، ﷺ، فى مسجد رسول الله ﷺ وأن يشترى ما فى نواحيه حتى يكون مائتى ذراع فى مائتى ذراع، ويقول له: قدم القبلة إن قدرت، وأنت تقدر لمكان أخوالك، وإنهم لا يخالفونك، فمن أبى منهم فقوموا ملكه قيمة عدل، واهدم عليهم، وادفع الأثمان إليهم، فإن لك فى عمر وعثمان أسوة، فأحضرهم عمر وأقر أهم الكتاب، فأجابوه إلى الثمن.. وبنى المسجد، وقدم عليه الفعلة من الشام.. وبعث الوليد إلى ملك الروم يعلمه أنه قد هدم مسجد النبى ﷺ، ليعمره، فبعث إليه ملك الروم مائة ألف مثقال ذهب، ومائة عامل، وبعث إليه من الفسيفساء بأربعين جملاً، فبعث الوليد بذلك إلى عمر بن عبد العزيز، وحضر عمر ومعه الناس، فوضعوا أساسه، وابتدأوا بعمارته»(١٩٥).

ويبدأ اهتمام الدولة الأموية بالمسجد النبوى منذ عهد معاوية بن أبى سفيان، ففى عهده قام مروان بن الحكم بالتبليط حول المسجد النبوى، وجاء أنه رفع منبر رسول الله ﷺ وزاد فى درجه، وسمر فى مقعده لوحًا لئلا يجلس أحد على ما كان يجلس عليه الرسول ﷺ، وأعاد مروان بناء المقصورة بالأحجار المنحوتة(١٩٦).

وفى عمارة الوليد بن عبد الملك للمسجد كان أول عمل لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ستر حجرة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، التى بها القبور الشريفة، بهذا الحائز المخمس الذى اقترحه عليه عثمان بن عروة، ليخفف من حدة المعارضة التى قوبل بها عند هدمه لحجرات أمهات المؤمنين وإدخالها فى المسجد من قبل فقهاء المدينة المنورة، ويأتى بناء جدار القبلة كخطوة ثانية بعد تخميس الحجرة الشريفة، وحرص عمر بن عبد العزيز على إقامة الاسطوانات فى موضع الاسطوانات القديمة، وكانت تتألف من قطع حجرية مستديرة، توضع قطعة فوق أخرى حتى تؤلف «إسطوانة مستديرة كسوارى الرخام»، وكان يوضع بوسط الأحجار المدورة عمود من الحديد يسكب عليه الرصاص المذاب ليزيد من التحام القطع وقوتها، وقد استحدث عمر وجود المحراب لأول مرة فى تاريخ المسجد، وشيد أربع مآذن للمسجد بواقع مئذنة فى كل ركن، كما شيد الشرافات فى المسجد لتحيط بأعلى جدران المسجد الخارجية بالإضافة إلى إحاطتها بصحن المسجد من الداخل أما المقصورة التى جددها بالساج فكانت مرتفعة، يدخل إليها من باب جدار القبلة الذى يؤدى إلى دار مروان، التى كانت دار الامارة والتى كانت «تمتد فى قبلة المسجد من باب السلام إلى دار آل عمر»، ولعل أبواب المسجد فى هذه العمارة اقتصرت على الأبواب التى كانت فى المسجد قبل عمارته، وقد استعمل عمر بن عبد العزيز صالح بن كيسان على هدم المسجد وبنائه(١٩٧).

ولم يكتف عمر بن عبد العزيز بعمارة المسجد النبوى بالأحجار النحيتة والقصة، كما لم يكتف أيضا بما أدخله على هذه العمارة من عناصر معمارية وزخرفية، وإنما عمد فوق هذا كله إلى استخدام أنواع كثيرة من أساليب الزخرفة والتى تتمثل فى الأشرطة الكتابية المدونة بماء الذهب بالخط الكوفى واستخدامها فى تزيين جدران المسجد الداخلية وكوشات العقود المطلة على الصحن، كما استخدمت الفسيفساء فى زخرفة جدران المسجد النبوى كما هو الحال فى المساجد التى شيدت وعمرت فى عهد الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك كالمسجد الأموى والمسجد الأقصى على سبيل المثال، وقد جلبت هذه الفصوص الزجاجية

من بلاد الشام، أرسلها الوليد إلى المدينة المنورة مع عمال متخصين فى تركيبها، فإن أهل الشام كانوا أصحاب مدرسة خاصة تتميز عن المدارس البيزنطية والرومانية السابقة والمعاصرة[١٩٨].

وكان من الخطاطين الذين عملوا فى المسجد فى هذه العمارة خالد بن أبى الهياج، وذكر أن أحد موالى «آل حويطب بن عبد الغزى يقال له سعد حطبة» هو الذى كتب مافى جدار القبلة فى عمارة الوليد، وساعد بن غزالة زياد بن عبد الله الحارثى فى إتمام النص الذى نقضه داود بن على سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩م من جدار صحن المسجد، وقد استخدم المرمر فى تزيين جدران المسجد، ومهما يكن من أمر فقد ورد أن الوليد بن عبد الملك عندما ورد المدينة سنة ٩١هـ/ ٧٠٩م «فرش له المسجد، وكشف عن الفسيفساء فجعل ينظر إلى حسنه وجاء الناس يهنئونه من كل ناحية»، وقد جاء السقف متناسقا مع جمال الجدران الداخلية المزينة بالفسيفساء وألواح الرخام، حيث استخدم فيه خشب الساج المذهب، كذلك اهتم عمر بعمل المياريب من الرصاص، وعمل الفوارة التى كانت عند دار يزيد بن عبد الملك[١٩٩].

عمارة المسجد الأقصى

انقسمت الآراء بالنسبة لتاريخ عمارة المسجد الأقصى فى العصر الأموى، إلى ثلاثة أقسام، حيث يرى[٢٠٠] فريق من المؤرخين و الباحثين أن الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان هو الذى شيد المسجد الأقصى، ويرى فريق[٢٠١] آخر أن الوليد بن عبد الملك هو الذى أقام العمارة الثانية للمسجد الأقصى فى العصر الأموى، ويرى[٢٠٢] فريق ثالث أن عبد الملك بن مروان هو الذى أمر ببناء مسجد بجوار مبنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه لكن البناء لم يتم إلا فى عهد الوليد بن عبد الملك، ويعلق د. أحمد رمضان على هذه الآراء قائلاً إن الرأى الأخير هو أقرب الآراء إلى الصواب، خاصة إذا عرفنا أن الخليفة عبد الملك بن مروان هو الذى أنشأ قبة الصخرة، ثم عنى به الوليد بن عبد الملك عناية خاصة لمكانته عند المسلمين[٢٠٣].

عمارة جامع صنعاء الكبير (شكل ٢٥)

كانت بلاد اليمن فى طليعة البلاد التى شهدت إقامة المساجد الأولى فى صدر الإسلام، خاصة فى عهد الرسول ﷺ، وفق ما ورد فى المصادر التاريخية، ويعد الجامع الكبير بصنعاء من أقدم المساجد التى شيدت فى بلاد اليمن، إذ تجمع المصادر التاريخية على تأسيسه فى حياة الرسول ﷺ حين بعث بالصحابى وبر بن يحنس الأنصارى واليًا على صنعاء فى عام ٦هـ/ ٦٢٧م، وأمره ببناء هذا المسجد، وقبل إن مؤسسه هو فروة بن مسيك المرادى ، وقيل إبان بن سعيد بن العاصى القرشى، وقيل غير ذلك(٢٠٤).

جاءت عمارة المسجد فى بدايتها بسيطة شأنها فى ذلك شأن عمارة المسجد النبوى فى مرحلته الأولى، فقد كان يشغل مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها ١٢م، يتوصل إليها من مدخل واحد، ثم تعرض المسجد لمراحل عديدة من التجديد والتعمير والإضافة خلال عصوره الإسلامية المتعاقبة، وتعد عمارة الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك من أهم الإضافات التى حدثت به خلال العصر الأموى، قال الرازى عند ذكره من زاد فى مسجد صنعاء من الولاة «ولما أفضت الخلافة إلى الوليد بن عبد الملك بن مروان: كتب إلى أيوب بن يحيى الثقفى بالولاية على صنعاء واليمن وأمره أن يزيد فى مسجد صنعاء ويبنيه بناءًا جيدا محكمًا، فبناه أيوب بن يحيى وزاد فيه من نحو قبلته الأولى إلى موضع قبلته اليوم. وحضر وهب بن منبه ذلك فقال لهم: إن أردتم أن تنصبوا قبلته فاستقبلوا به ضينًا، قال أبو الحسن وإنما زاد فيه الوليد من قبلته الأولى إلى قبلته اليوم. قال عبد الرازق: أخبرنى أبى وغيره: إن فى قبلة مسجد صنعاء ميلا قدر ذراع ونصف ميامنا: ولما بنى المحراب وزيد فى المسجد هذه الزيادة من موضع قبلته الأولى إلى موضع قبلته اليوم كان فى المحراب نقوش ورقات وصنعة عجيبة حسنة بالجص: عملاً معجزًا، وخلق بالخلوق والمسك والطيب، وكان يطلى به المحراب كل عام لشهر رمضان، فلما ولى القضاء يحيى بن عبد الله بن كليب أمر بهدم تلك النقوش التى كانت فى المحراب، وأعاده إلى ما هو عليه الآن من العمل،

وجصصه هذا الجص الساذج الذى هو فيه.. وقد نهى عن تزويق المساجد.. وكان فى أيام بنى أمية يخضبون محاريب المساجد وأساطينها بالخلوق والطيب فلم يزل ذلك فى أيامهم، ثم انقطع ذلك الطيب من المساجد لما قدم عمر بن عبد الحميد وكان أول من ولى صنعاء لبنى العباس»[٢٠٥].

دار الضيافة بالشام

ومن مآثر الوليد بن عبد الملك تشييده دار الضيافة، قال ابن تغرى بردي عند ذكره الوليد بن عبد الملك «وكان الوليد عند أهل الشام أفضل خلفائهم من كونه بنى المساجد والجوامع.. وهو أول من اتخذ دار الضيافة للقادمين»[٢٠٦].

البيمارستانات

ومن مآثر الوليد بن عبد الملك بناء البيمارستانات للمرضى فى مرج عذراء إلى الشمال الشرقى من دمشق فى عام ٨٨هـ/ ٧٠٦م، قال ابن تغرى بردى عند ذكره الوليد بن عبد الملك «وبنى البيمارستانات للمرضى»[٢٠٧].

مآثر أخرى للوليد بن عبد الملك

وبالإضافة لعمارة الوليد فى المسجد الحرام أمدنا ابن الأثير بمآثر أخرى للوليد بن عبد الملك، فقد كتب فى عام ٨٨هـ إلى عمر بن عبد العزيز واليه على المدينة «فى تسهيل الثنايا وحفر الآبار، وأمره أن يعمل الفوارة بالمدينة، فعملها وأجرى ماءها، فلما حج الوليد ورآها أعجبته، فأمر لها بقوام يقومون عليها، وأمر أهل المسجد أن يستقوا منها، وكتب إلى البلدان جميعها بإصلاح الطرق، وعمل الآبار»[٢٠٨]. وفى ذلك أورد ابن تغرى بردى عند ذكره الوليد بن عبد الملك «وكان الوليد عند أهل الشام أفضل خلفائهم من كونه بنى المساجد والجوامع.. وهو أول من اتخذ دار الضيافة للقادمين، وبنى البيمارستانات للمرضى، وساق المياه إلى مكة والمدينة، ووضع المنابر فى الأمصار»[٢٠٩].

الاستحكامات الحربية وعمائرها المدنية والدينية

عمارة حصن سلوقية

اهتم الخليفة الوليد بن عبد الملك اهتمامًا عظيمًا بالمنطقة الثغرية كلها، خاصة الخط الساحلى، فقد استحدث أربع نقاط حصينة هى سلوقية قال البلاذرى عند ذكره أرض سلوقية «وحدثنى جماعة من مشايخ أهل أنطاكية منهم ابن برد الفقيه. أن الوليد بن عبد الملك أقطع جندًا بأنطاكية أرض سلوقية عند الساحل وصير.. وجرى ذلك لهم وبنى حصن سلوقية»(٢١٠).

عمارة حصون أخرى

ومن النقاط الحصينة التى اهتم بها الوليد بن عبد الملك اهتمامًا عظيمًا بغراس(٢١١)، وعين السلور(٢١٢) و بحيرتها، والاسكندرونة(٢١٣)، كذلك اهتم الوليد بملطية لتكون بمثابة نقطة خلفية لحصن طرندة فأمن خط الفرات، واهتم الوليد بن عبد الملك بتحصين قنسرين وزاد فيها فارداد الخط الدفاعى الأوسط حصانة فى طرفه الجنوبى(٢١٤).

عمارة مرعش ومسجدها الجامع

يحدثنا البلاذرى عن عمارة مرعش بقوله «ثم إن العباس بن الوليد بن عبد الملك صار إلى مرعش فعمرها وحصنها ونقل الناس إليها وبنى بها مسجدًا جامعًا»(٢١٥).

خوارزم وسمرقند ومسجدها الجامع

يحدثنا ابن تغرى بردى عن خوارزم وسمرقند بقوله فى أحداث سنة ٩٣هـ «فيها افتتح قتيبة خوارزم وسمرقند، وكان ساكنها الصفد، وبنى بها مسجدا وخطب بنفسه فيه»(٢١٦).

قصير عمرة حوالى ٩٥هـ/٧١٥م (أشكال ٢٦-٢٨)

يقع قصير عمرة[٢١٧] على بعد نحو خمسين ميلاً شرقى عمان، كشفته البعثة العلمية برئاسة الواموزيل فى عام ١٣١٦هـ/١٨٩٨م، وقامت بتصوير نقوشه وصوره، وقد شيد هذا البناء من الحجر الكلسى الأحمر المأخوذ من التلال المجاورة، وكان تشييد هذه القصور من قبل الأمويين لأغراض ربما كانت حربية أو اجتماعية أو ترفيهية (لوحة ١٦).

جاء مخطط[٢١٨] القصير من قسمين رئيسيين يمثل أحدهما قاعة الاستقبال، ويمثل الآخر الحمام، أما مخطط قاعة الاستقبال فجاء من مساحة مستطيلة تمتد من الشمال إلى الجنوب قسمها المعمار إلى ثلاثة أروقة يفصلها عقدان على هيئة نصف دائرية، يغطى كل رواق منها سقف من قبو نصف برميلى، ويتصل الرواق الأوسط بحنية كبيرة تعرف بحنية العرش تقع على محور المدخل الشمالى تشتمل على صورة للخليفة وهو جالس على العرش، وتكتنف الحنية غرفتان بدون نوافذ تبرزان عن مستوى حنية العرش من الخارج ببروزين على هيئة نصف دائرية، ويتوصل إلى داخلهما من حنية العرش، وقد خصصتا لخلع الملابس، ويغطى كل منهما قبو نصف برميلى، وهو الأمر الذى يتضح فى ضوئه أن التغطيات كلها فى كافة وحدات قاعة الاستقبال جاءت من أقبية برميلية هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أوجد المعمار أربع فتحات فى هذا القسم وزعت: اثنتان فى القاعتين على جانبى حنية العرش تفتحان على الرواقين الجانبيين، واثنتان فى الجدار الشمالى على جانبى المدخل وذلك بغرض الإضاءة والتهوية.

ويذكر كريزويل أن الواموزيل ومثله جوسين وسافينياك ذكروا أن هذه الغرف تشتمل فى أرضياتها على تغطية بالفسيفساء تمثل زخارف نباتية[٢١٩].

أما القسم الثانى المتمثل فى الحمام فيتوصل إليه من قاعة الاستقبال من خلال الرواق الشرقى، حيث نصل إلى القاعة الأولى، وهى القاعة الباردة، يغطيها قبو نصف برميلى على غرار أقبية قاعة الاستقبال، وقد جاء مخططها من مساحة مستطيلة أبعادها ٢,٨٣ × ٣,٢م، تشتمل على فتحتين إحداهما صغيرة بالجدار الجنوبى، والأخرى كبيرة بالجدار الشرقى، ويذكر كريزويل إنه توجد دكة صغيرة مغطاة بالجص يبلغ ارتفاعها ٣٠سم باتجاه الجدار الشرقى والجدار الجنوبى، وقد نقب الواموزيل فى هذه الغرفة وفى الغرفتين التاليتين فعثر على دعائم يبلغ ارتفاعها ٧٠سم، ويضيف لابد أنها حملت الأرضية الأصلية، أما الفراغ بينهما فهو لنقل الهواء الحار(٢٢٠).

ويتوصل من هذه القاعة الباردة إلى القاعة الثانية الدافئة من خلال فتحة بالجدار الشمالى، وهى مربعة يبلغ طول ضلعها ٢,٨٣م، يغطيها قبو متقاطع، وتشتمل هذه القاعة على فتحتين إحداهما بالجدار الغربى وتفتح على الرواق الشرقى، أما الأخرى فتشرف من خلالها دخلة هذه القاعة التى أوجدها المعمار بالجدار الشمالى على الخارج وساقية الماء، ويذكر كريزويل أن الجدران تبرز على مستوى حوالى ٢م فوق الأرض بمقدار ١٢سم، وتوجد فى كل ركن تحت هذا البروز أربعة أنابيب ماء فخارية قطرها حوالى ٧ سم تأتى من السقف، ويجرى الماء عند السقف بأقنية أسمنتية(٢٢١).

يتوصل من خلال هذه القاعة الدافئة إلى القاعة الثالثة الساخنة من خلال فتحة بالجدار الشرقى، وهى قاعة مربعة تتفق فى مساحتها تقريبًا مع القاعة السابقة، تغطيها قبة نصف كروية قائمة على أربعة مثلثات كروية بواقع مثلث فى كل ركن، ويذكر كريزويل أن المعمار أوجد بين المثلثات الكروية وبين القبة أفريزاً حجريًا يبلغ ارتفاعه ٣٠سم، وتشتمل القبة على أربع نوافذ صغيرة ترتكز بدورها على هذا الافريز، وتخترق جدران هذه الغرف الثلاث حفر الغرض منها تثبيت الألواح الرخامية، وتبرز الأجزاء العليا عن الجدران كما فى الغرفة السابقة، وفى كل ركن منها يوجد أنبوب مياه، وتوجد أسفل الأرضية بقايا التدفئة المركزية(٢٢٢).

وقد أوجد المعمار دخلتين عميقتين على جانبى القبة من الجهتين الشمالية والجنوبية على هيئة نصف دائرية، وقد خلت هذه القاعة من الفتحات، ويلاحظ أن المعمار قد نوع فى أسلوب التغطية فى الحمام ما بين الأقبية البرميلية والمتقاطعة والقباب.

ويرى كريزويل من خلال مقارنة هذا البناء مع حمامين صغيرين أن الملحق فى الجانب الشرقى من القاعة الرئيسية ـ A ـ كان حمامًا فلابد أن الغرفة الأولى ـ D ـ بدكتيها والخالية من الأنابيب كانت غرفة الملابس فى الحمام، والغرفة الثانية ـ E ـ التى تحتوى على أنابيب الماء والتدفئة المركزية تحت الأرضية كانت غرفة الحمام والغرفة المقببة المجاورة للفرن هى غرفة الحمام الساخن(٢٢٣).

ويتميز قصير عمرة باشتماله على نقوش فى جدرانه وسقوفه (لوحة ١٧) تنوعت ما بين رسوم صيد واستحمام وراقصات ونساء شبه عاريات وعلى رسوم رمزية لالهة الشعر والفلسفة والنصر والتاريخ عند الإغريق، وأخرى لبعض مراحل العمر المختلفة، وعلى رسم لقبة السماء وبعض النجوم، فضلاً عن البروج المختلفة، ورسوم طيور وحيوانات وزخارف نباتية، وتفصيل ذلك أن الغرف الصغيرة المحيطة بالايوان كانت ذات أرضية من الفسيفساء، وقد بقيت بحالة جيدة حتى أيام الواموزيل، أما الغرف الأخرى فقد استخدمت فيها الألواح الرخامية بسمك ٣سم، وقد وجدت بقايا منها فى أثناء زيارات الواموزيل، وكانت كل الغرف ذات افريز رخامى، وفى أثناء زيارة موزيل الثانية كان رخام الجدار الشرقى للقاعة الرئيسية لايزال بحالة جيدة حتى ارتفاع ٨٠سم، وفوق هذا المستوى كانت الجدران مكسوة بالجص، وتزدان بالفرسكو، وقد تباينت الألوان بين الأزرق البراق. والبنى الغامق، والبنى الفاتح، والأصفر الداكن، والأخضر الزرقاوى، وقد تأثرت لوحات قاعة الاستقبال أكثر من لوحات الغرف الأخرى(٢٢٤).

ويذكر كريزويل إن الجدران أعلى الأفاريز الرخامية حتى نصف ارتفاعها تقريبًا تزدان بأسلوب الستائر المعلقة، ويوجد فى مؤخرة الإيوان خليفة يجلس على

عرشه وحول رأسه هالة، وفوقه مظلة ترتكز على عمودين حلزونيين، ويحف به شخصان وكتابة كوفية باللون الأبيض فوق خلفية زرقاء، وقد تطرق التلف إلى كثير من أجزائها، وبين الايوان والركن الجنوبى الغربى حسب رواية الواموزيل توجد صورة امرأة وفوقها على اليمين كلمة نيخ = نصر، وهى ذات علاقة مباشرة بالصورة الشهيرة «أعداء الإسلام المغلوبين» وإلى جانبها فى الطرف الجنوبى للجدار الغربى كانت هناك صورة تتألف من ستة أشخاص يرتدون الملابس الفاخرة ثلاثة فى المقدمة وثلاثة فى المؤخرة، وفوق أربعة منهم كتابة بالعربية والإغريقية فالأول من اليسار فوقه كلمة «قيصر بالعربية واليونانية»، والثانى فى الصف الخلفى فوقه كلمة يظن أنها «الودريق» آخر ملوك القوط فى إسبانيا، والثالث فى الصف الأمامى فوقه كلمة «كسرا»، والرابع فى الصف الخلفى فوقه كلمة «النجاشى» ورجح فان برشم أن الأشخاص الذين في الصف الأول ملوك امبراطوريات كبيرة فى حين أن الأشخاص فى الصف الخلفى ملوك دول صغيرة(٢٢٥).

تاريخ قصير عمرة من خلال صورة أعداء الإسلام (لوحة ١٨)

يؤرخ قصيرة عمرة من خلال صورة أعداء الإسلام بصفة عامة والخليفة الوليد بن عبد الملك بصفة خاصة (٨٦-٩٦هـ/ ٧٠٥-٧١٥م)، حيث أمكن نسبة قصير عمرة إلى الفترة الواقعة بين سقوط الأندلس فى عام ٩٢هـ/ ٧١١م أو سقوط سمرقند فى عام ٩٣هـ/ ٧١٢م ووفاة الوليد بن عبد الملك فى عام ٩٦هـ/ ٧١٥م(٢٢٦).

وإلى يمين هذه الصورة كان يوجد منظر استحمام وإلى اليمين أيضًا مجموعة من الرجال تمارس التمارين الرياضية، وتوجد على الجدار الشمالى آثار منظر صيد يمكن رؤية بقيته على النصف الشرقى من الجدار الجنوبى، وفوق ذلك إلى يمين النافذة الواقعة أسفل القنطرة صورة امرأة مع بقايا كلمة شعر، وعلى الجانب الآخر توجد بقايا صورتين مع كلمتى تاريخ وفلسفة، ويتناول كريزويل زخارف العقود المستعرضة، وهى فى حالة أفضل ففى النصف الجنوبى من العقد الشرقى

يوجد موسيقى يعزف وهو جالس على آلة وترية ذات مقبض طويل، وفوقه توجد صورة امرأة عارية، وعلى النصف الجنوبى من العقد الغربى صورة راقصة عارية، أما غرفة ملابس الحمام فتحتوى على أفضل الصور المتبقية نذكر منها، امرأة جالسة تنظر نحو رجل فى الجانب الآخر من النافذة وأشرطة مزخرفة بأوراق نباتية تكون أشكال معينات ومثلثات ورسوم تشتمل على موضوع واحد: رجل، امرأة، حيوان، طائر، وعلى الجانب الشمالى نجد أشكال غزلان، ونجد رجلاً بملابس رومانية يعزف على الناى، وراقصة وأشكال حيوانات، كما نجد قمة العقد وقد ملئت بصف من التماثيل النصفية أحدها لرجل أبيض الشعر، وعلى الجانب الأيمن توجد أشكال حيوانات وطيور(٢٢٧).

وفى غرفة الحمام نجد رسومًا تمثل امرأة نصف مستلقية ثم امرأة تمسك بطفل صغير بين ذراعيها وإلى اليمين عند الباب تدخل امرأة أخرى والنساء فى الصورة عاريات أما غرفة الحمام الساخنة فتشبه قبة السماء، حيث إن كواكب نصف الكرة الأرضية الشمالى الرئيسية مرسومة فيها، بالإضافة إلى إشارات البروج، ويوجد فى الوسط الدب الأكبر والدب الأصغر يفصلهما ذيل التنين، كما توجد إلى اليمين صورة شخص يمد ذراعيه(٢٢٨).

وبصفة عامة فإنه يتضح فى هذه النقوش الأساليب الفنية الهلينية والبيزنطية، كما تظهر الأساليب الفنية الإيرانية إلى جانب العناصر الشرقية المسيحية(٢٢٩).

سليمان بن عبد الملك ٩٦-٩٩هـ/٧١٥-٧١٧م

هو سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، بويع بالخلافة وهو بالرملة فى اليوم الذى توفى فيه الوليد بن عبد الملك، وأمه ولادة بنت العباس بن جزء بن الحارث بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عبس بن بغيض[٢٣٠].

مدينة الرملة ومنشآتها (القصر والمسجد الجامع)

شيدها سليمان بن عبد الملك عندما ولاه الخليفة الوليد بن عبد الملك جند فلسطين، حيث نزل لد[٢٣١]، ثم أسس الرملة ومصرها، قال البلاذرى «وحدثنى جماعة من أهل العلم بأمر الشام، قالوا: ولى الوليد بن عبد الملك سليمان بن عبد الملك جند فلسطين فنزل لد، ثم أحدث مدينة الرملة ومصرها وكان أول ما بنى منها قصره والدار التى تعرف بدار الصباغين، وجعل فى الدار صهريجًا متوسطا لها ثم اختط للمسجد خطة وبناه، فولى الخلافة قبل استتمامه ثم بنى فيه بعد فى خلافته، ثم أتمه عمر بن عبد العزيز ونقص من الخطة، وقال: أهل الرملة يكتفون بهذا المقدار الذى اقتصرت بهم عليه[٢٣٢]».

وقد أورد البلاذرى «ولما بنى سليمان لنفسه أذن للناس فى البناء فبنوا، واحتفر لأهل الرملة قناتهم التى تدعى بردة واحتفر آبارًا وولى النفقة على بناءها بالرملة ومسجد الجماعة كاتبًا له.. ولم تكن الرملة قبل سليمان، وكان موضعها[٢٣٣] رملة».

مما تقدم يتضح أن البلاذرى قد أمدنا بمعلومات هامة بالنسبة لنشأة المدينة

وسبب تسميتها من جهة، والمراحل التى مرت بها المدينة حتى الفراغ منها من جهة أخرى، وهو الأمر الذى يتضح فى ضوئه أنها مدينة أموية، ويضيف البلاذرى «وقد صارت دار الصباغين لورثة صالح بن على بن عبد الله بن العباس لأنها قبضت مع أموال بنى أمية قالوا: وكان بنو أمية ينفقون على آبار الرملة وقناتها بعد سليمان بن عبد الملك فلما استخلف بنو العباس أنفقوا عليها»[٢٣٤].

وكان سليمان بن عبد الملك يجل بيت المقدس شأنه فى ذلك شأن من سبقه من الأمويين حتى أنه عندما تولى الخلافة أتى بيت المقدس ، وأتته الوفود بالبيعة، وكان يجلس فى صحن حرم بيت المقدس فيما يلى الصخرة، فيدخل الناس إليه لقضاء حوائجهم، وكان سليمان بن عبد الملك قد هم بالإقامة فى بيت المقدس واتخاذها منزلاً وعاصمة لدولته بدلاً من دمشق، قال الاصطخرى «وأما جند فلسطين ـ وهو أول أجناد الشام مما يلى المغرب.. وفلسطين ماؤها من الأمطار.. ومدينتها العظيمة الرملة، وبيت المقدس يليها فى الكبر»[٢٣٥].

ويصف لنا المقدسى مدينة الرملة بقوله «الرملة قصبة فلسطين بهية حسنة البناء خفيفة الماء مرية واسعة الفواكه جامعة الامتداد بين رساتيق جليلة ومدن سرية ومشاهد فاضلة وقرى نفيسة والتجارة بها مفيدة والمعايش حسنة ليس فى الإسلام أبهى من جامعها ولا أحسن وأطيب من حواريها ولا أبرك من كورتها ولا الذمن فواكهها موضوعة بين رساتيق زكية ومدن محيطة ورباطات فاضلة ذات فنادق رشيقة وحمامات أنيقة وأطعمة نظيفة وأدامات كثيرة ومنازل فسيحة ومساجد حسنة وشوارع واسعة وأمور جامعة قد حظت فى السهل وقربت من الجبل والبحر.. عميقة الآبار مالحة وماء المطر فى جباب مقفلة.. وهى ميل راجح فى ميل بنيانهم حجارة منحوتة حسنة وطوب[٢٣٦]..».

جامع حلب (شكل ٢٩) (لوحة ١٩)

شيد الخليفة سليمان بن عبد الملك أول مسجد جامع فى حلب، وتأنق فى بنائه ليضاهى به جامع دمشق الذى بناه الوليد بن عبد الملك، وقد شيد المسجد من أحجار منشآت قديمة، وكان المسجد يتسم بالفخامة من الناحيتين المعمارية والزخرفية فقد ازدان بالفسيفساء والرخام، غير أن المسجد تعرض للتخريب عقب انتهاء العصر الأموى، حيث نقض العباسيون ما فيه من رخام وفسيفساء وآلات ونقلوها إلى جامع الأنبار(٢٣٧).

وقد تعرض المسجد للعديد من الإصلاحات والتجديدات عبر عصوره الإسلامية المتعاقبة، فقد تعرض المسجد لحريق من قبل الروم عند اجتياحهم حلب فى عام ٣٥١هـ / ٩٦٢م، ثم جدد من قبل الأمير سيف الدولة الحمدانى، ومن جاء بعده، وفى سنة ٥٦٤هـ / ١١٦٩م تعرض لحريق آخر من قبل الإسماعيلية فى أثناء فتنة داخلية فأعاد بنائه السلطان العادل نور الدين محمود بن زنكى وزاد فى سعته، ثم تأثر المسجد فى أثناء استيلاء التتار بقيادة هولاكو على حلب فى يوم الأحد العاشر من صفر سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م، كما تأثر أيضًا فى سنة ٦٧٩هـ/ ١٢٨٠م عندما هاجم صاحب سيس المدينة وأحرقه، فأعاد عمارته نائب حلب الأمير قراسنقر وفرغ منه فى رجب من سنة ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م فى سلطنة الملك المنصور سيف الدين قلاوون، وتناوله من أتى بعده بالعمارة والإصلاح فى العصر المملوكى، ثم أولى العثمانيون المسجد الكثير من العناية والرعاية(٢٣٨).

ومن الناحية المعمارية يشغل المسجد مساحة واسعة عبارة عن مستطيل يمتد من الشرق إلى الغرب بمقدار ١٠٥م طولاً، ومن الشمال إلى الجنوب بمقدار ٧٧,٧٥م عرضا، وعلى ما يبدو فإن المسجد الكبير فى حلب كان نسخة من مسجد دمشق الكبير(٢٣٩).

مدينة جرجان

أورد ابن الأثير فى أحداث سنة ٩٨هـ/٧١٦م «فى هذه السنة غزا يزيد بن المهلب جرجان وطبرستان لما قدم خراسان[٢٤٠]».

كما أورد «وبنى مدينة جرجان، ولم تكن بنيت قبل ذلك مدينة، ورجع إلى خراسان، واستعمل على جرجان جهم بن زحر الجعفى.. وكتب إلى سليمان بالفتح[٢٤١]..».

ذكرها ياقوت الحموى فقال «جرجان: بالضم، وآخره نون.. مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان.. وقيل: إن أول من أحدث بناءها يزيد بن المهلب بن أبى صفرة، وقد خرج منها خلق من الأدباء والعلماء والفقهاء والمحدثين.. فإنها أكبر مدينة بنواحيها، وهى أقل ندى ومطرًا من طبرستان.. ويرتفع منها من الأبريسم وثياب الأبريسم ما يحمل إلى جميع الآفاق.. ولجرجان مياه كثيرة وضياع عريضة، وليس بالمشرق بعد أن تجاوز العراق مدينة أجمع ولا أظهر حسنا من جرجان على مقدارها، وذلك أن بها الثلج والنخل، وبها فواكه الصرود والجروم، وأهلها يأخذون أنفسهم بالتأنى والأخلاق المحمودة.. وقد خرج منها رجال كثيرون موصوفون بالستر والسخاء، منهم: البرمكى صاحب المأمون، ونقودهم نقود طبرستان الدنانير والدراهم»[٢٤٢].

عمر بن عبد العزيز ٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧٢٠م

هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، وكنيته أبا حفص، قال الطبرى فى أحداث سنة ٩٩هـ/ ٧١٧م «وفى هذه السنة استخلف عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم[٢٤٣]».

وقال ابن الأثير «وكان عبد الملك قد عهد إلى الوليد وسليمان أن يجعلا أخاهما يزيد ولى عهد، فأمر سليمان أن يجعل يزيد بن عبد الملك بعد عمر، وكان يزيد غائبًا فى الموسم. قال رجاء: قلت رأيك فكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز، إنى قد وليتك الخلافة بعدى ومن بعدك يزيد بن عبد الملك، فاسمعوا له وأطيعوا واتقوا الله، ولا تختلفوا فيطمع فيكم»[٢٤٤].

ومن مآثر عمر بن عبد العزيز ترك سب أمير المؤمنين الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه قال ابن الأثير «كان بنو أمية يسبون أمير المؤمنين على بن أبى طالب.. إلى أن ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة، فترك ذلك، وكتب إلى العمال فى الآفاق بتركه.. وقرأ عوضه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى[٢٤٥]﴾ (سورة النحل، الآية ٩٠).

وذكر ابن الأثير أنه فى عهد عمر بن عبد العزيز بدأت الدعوة العباسية، حيث قال فى أحداث سنة ١٠٠هـ/ ٧١٨م «فى هذه السنة وجه محمد بن على بن عبد الله بن عباس الدعاة فى الآفاق[٢٤٦]».

وفى هذه السنة أيضًا نقل عمر بن عبد العزيز أهل طرندة إلى ملطية، وأخرب

حصن طرندة قال ابن الأثير «فى هذه السنة أمر عمر بن عبد العزيز أهل طرندة بالقفول عنها إلى ملطية. . وكان عبد الله بن عبد الملك قد أسكنها المسلمين بعد أن غزاها سنة ثلاث وثمانين، وملطية يومئذ خراب، وكان يأتيهم جند من الجزيرة يقيمون عندهم إلى أن ينزل الثلج، ويعودون إلى بلادهم، فلم يزالوا كذلك إلى أن ولى عمر، فأمرهم بالعودة إلى ملطية، وأخلى طرندة خوفا على المسلمين من العدو، وأخرب طرندة، واستعمل على ملطية جعونة بن الحارث[٢٤٧]».

ومن مآثر عمر بن عبد العزيز بحصن المصيصة المسجد الجامع، قال البلاذرى «وشخص عمر بن عبد العزيز حتى نزل هرى المصيصة وأراد هدمها وهدم الحصون بينها وبين أنطاكية. . فأعلمه الناس أنها عمرت ليدفع من بها من الروم عن أنطاكية. . فأمسك وبنى لأهلها مسجدًا جامعًا من ناحية كفربيا واتخذ فيه صهريجا وكان اسمه عليه مكتوبا، ثم أن المسجد خرب فى خلافة المعتصم بالله وهو يدعى مسجد الحصن[٢٤٨]».

يزيد بن عبد الملك ١٠١-١٠٥هـ/ ٧٢٠-٧٢٤م

هو يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبى سفيان، وكنيته أبو خالد، تولى بعهد من أخيه سليمان بعد عمر بن عبد العزيز، قال الطبرى «ولما مات عمر بن عبد العزيز بويع يزيد بن عبد الملك فى اليوم الذى مات فيه عمر»(٢٤٩).

مسجد البصرى ١٠٢هـ/٧٢٠م (شكل ٣٠)

أورد د. أحمد فكرى عدة مساجد ترجع إلى العصر الأموى منها مسجد البصرى الذى شيده الخليفة يزيد بن عبد الملك فى سنة ١٠٢هـ/ ٧٢٠م فى جنوب الشام، وقد جدد هذا المسجد فى سنة ١٢٨هـ/ ٧٤٥م أى فى نهاية العصر الأموى، ثم جدد فى القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى فى عام ٦١٨هـ/ ١٢٢٠م، ثم تهدم واندثر، غير أن الحفائر أظهرت بعض نظام تخطيطه، حيث يشغل المسجد مساحة شبه مربعة يبلغ طول جدار القبلة فيها ٣٥م، وتنقسم هذه المساحة إلى صحن وأربع ظلات، وتتكون كل ظلة من بلاطتين، أما الصحن فيشغل مساحة مستطيلة، حيث يبلغ طوله ١٦م، أما عرضه فيبلغ ١٠م، وترتكز عقود المسجد على دعامات(٢٥٠).

قصر الموقر (شكل ٣١)

ومن الآثار المعمارية التى ترجع إلى تلك الفترة بناء قصر الموقر وهو يقع فى

البلقاء أى فى أراضى الجنوب الشرقى من الأردن اليوم على بعد ٣٥كم غربى الحرانة على الدرب الؤدية إلى عمان، وهذا البناء تقريبًا إندثر تمامًا، ونتيجة لذلك فإن وصفه جاء اعتمادًا على روايات Von Domaszewski, Brünnow الذى رآه فى سنة ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م، و Musil الذى زاره فى سنة ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م وسنة ١٣١٩هـ / ١٩٠١م وقد عثر على عمود كامل حفرت على تاجه كتابة كوفية تحدد تاريخ بناء القصر فى عهد الخليفة عبد الله يزيد الثانى، كما أن الحجارة الضخمة التى يتألف منها العمود تحمل كتابات على مسافات متساوية، ولعل هذا العمود كان مقاما وسط البركة التى تقع فى شرق القصر لتحديد ارتفاع الماء فيها، ويصل ارتفاع العمود إلى عشرة أمتار على الأقل كما يتضح من المقاييس المدرجة عليه[٢٥١].

هشام بن عبد الملك ١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٤-٧٤٣م

هو هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية، وأمه أم هشام (عائشة) بنت هشام بن اسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومى، وكنيته: أبا الوليد، قال ابن الأثير فى أحداث سنة ١٠٥هـ/ ٧٢٤م «فى هذه السنة استخلف هشام بن عبد الملك.. وأتته الخلافة وهو بالرصافة، وأتاه البريد بالخاتم والقضيب، وسلم عليه بالخلافة فركب منها حتى أتى دمشق»[٢٥٢].

مدينة الرصافة وقصورها

ذكرها الطبرى فقال «وكان هشام بن عبد الملك ينزل الرصافة ـ وهو فيما ذكر ـ من أرض قنسرين، ـ وكان سبب نزوله إياها ـ فيما حدثنى أحمد بن زهير بن حرب، عن على بن محمد قال: كان الخلفاء وأبناء الخلفاء يتبدون ويهربون من الطاعون، فينزلون البرية خارجا عن الناس، فلما أراد هشام أن ينزل الرصافة قيل له: لا تخرج، فإن الخلفاء لا يطعنون، ولم نر خليفة طعن، قال: أتريدون أن تجربوا بى: فنزل الرصافة وهى برية، ابتنى بها قصرين. والرصافة مدينة رومية بنتها الروم»[٢٥٣].

وذكرها ابن الأثير فقال «وقيل: وكان هشام ينزل الرصافة وهى من أعمال قنسرين، وكان الخلفاء قبله وأبناء الخلفاء يتنبذون هربا من الطاعون فينزلون البرية، فلما أراد هشام أن ينزل الرصافة قيل له: لا تخرج فإن الخلفاء لا يطعنون، ولم ير خليفة طعن. قال: أتريدون أن تجربوا فى؟ فنزلها، وهى مدينة رومية[٢٥٤]» .

وذكرها ياقوت الحموى فقال «الرصافة فى مواضع كثيرة، منها: رصافة هشام بن عبد الملك فى غربى الرقة.. بناها هشام لما وقع الطاعون بالشام فكان يسكنها فى الصيف.. ووجدت فى أخبار ملوك غسان.. ثم ملك النعمان بن الحارث بن الأيهم وهو الذى أصلح صهاريج الرصافة وصنع صهريجها الأعظم، وهذا يؤذن بأنها كانت قبل الإسلام بدهر ليس بالقصير، ولعل هشامًا عمر سورها أو بنى بها أبنية يسكنها، وقال أحمد بن يحيى: وأما رصافة الشام فإن هشام بن عبد الملك أحدثها وكان ينزل فيها الزيتونة، قال الأصمعى: الزوراء رصافة هشام وفيها دير عجيب وعليها سور وليس عندها نهر ولا عين جارية إنما شربهم من صهاريج عندهم داخل السور»(٢٥٥).

قصر الحير الشرقى ١١٠هـ/٧٢٨م (أشكال ٣٢-٣٤)

يقع هذا القصر على بعد ستين ميلاً تقريبًا إلى الشمال الشرقى من تدمر وحوالى أربعين ميلاً إلى الجنوب من الرصافة، ويتألف الموقع من قصرين أحدهما كبير عبارة عن مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها ١٦٠م تقريبًا، والآخر صغير مربع غير منتظم طول ضلعة ٦٦م، وهذان القصران تدعمهما أبراج نصف دائرية، برجان فى كل ضلع اضافة لأبراج الزوايا الأربع، ويقع المدخل فى الجهة الجنوبية فقد أوجد المعمار برجين على جانبيه بواقع برج فى كل جانب بهيئة نصف دائرية، ثم يؤدى دهليز المدخل إلى الفناء الذى تحيط به الحجرات من جوانبه الأربعة، ويتألف القصر من طابقين، ويحتوى على أربعة مداخل، كما أوجد المعمار مدخلين آخرين فى الجدار الشرقى، وقد شيدت الأسوار من الحجر المنحوت والآجر، تدعمها ابراج نصف دائرية، وقد وجد روسو كتابة ترجع هذا القصر إلى عهد هشام أما القصر الصغير فيشتمل على مدخل واحد من الجهة الغربية وحجرات ذات أسقف معقودة، فقد ذكر كريزويل أن روسو وجد لوحة تشتمل على نص كتابى، ونقلها إلى حلب حيث قام برسمها، وتتضمن «بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، محمد رسول الله، أمر بصنعة هذه المدينة (الرصافة) عبد الله هشام، أمير المؤمنين، وكان هذا من عمل

أهل حمص على يد سليمان بن عبيد» سنة ١١٠هـ/ ٧٢٨م، وقد فقدت هذه اللوحة[٢٥٦].

و يذكر كريزويل[٢٥٧] أن هشامًا شيد قصرين فى صحراء الرصافة، ويضيف أن الفناء الكبير يمثل أحد القصرين، بينما يمثل الفناء الصغير القصر الآخر، ويتألف القصر الشرقى كما تقدم من بناءين محصنين بهيئة مربعة تقريبًا، الأول يبلغ طول ضلعه حوالى ٦٦م، أما الآخر فيبلغ طول ضلعه حوالى ١٦٠م من الداخل، أما الفناء الصغير فيتشكل من خلال سور يبلغ سمكه ٢,٣٠م، يشتمل على أبراج نصف دائرية فى الجدران وشبه دائرية فى الأركان، وتفصيل ذلك أن كل جدار يشتمل على برجين نصف دائريين بحيث يبلغ عددها ثمانية أبراج، كما أوجد المعمار برجًا بهيئة شبه دائرية فى كل ركن من الأركان الأربعة، وتبلغ المسافة بين كل برجين ١٨,٥١م، ٢٠,٥٠م فيما عدا جانب المدخل الذى يشتمل على برجين يقعان على جانبى المدخل الرئيسى الذى يتوصل منه إلى داخل القصر، ويبعدان عن بعضهما ٦,٦٧م تقريبًا، ويذكر كريزويل أن ارتفاع الجدار بما فى ذلك حاجز السقف يبلغ ١٢,٢٥م تقريبًا، وقد شيدت الجدران بالحجر الكلسى الناعم من مداميك يبلغ ارتفاعها ٣٥ سم[٢٥٨].

ويبلغ عرض المدخل ٢,٩٨م، أما الارتفاع فيبلغ ٤,٢م، ويتوج المدخل عتب مستقيم يعلوه عقد نصف دائرى، وتزدان الأبراج فى قمتها بالآجر والجص، حيث تبدأ بزخارف متموجة مستقيمة ثم نجد مدماكين من الآجر، ثم يوجد صف آخر من الآجر الصغير بمساحة ١٠سم تقريبًا على هيئة معينات، ثم نجد مدماكًا آخر من الآجر، ثم يلى ذلك مدماك من الحجر يرتكز عليه عقد القناطر المؤلفة من سلسلة من الألواح المستطيلة التى يقسمها زوجان من الأعمدة الصغيرة، ويزدان وجه العقد من أعلى بنبات الأكانتس، ويعلو كل ذلك مدماك من الآجر تعلوه عدة مداميك من الآجر العمودى تعلوها القبة الآجرية التى تتوج البرج بعد الارتداد عن وجه الجدار، ويمتد افريز بين الأبراج، كما توجد سقاطتان أعلى المدخل ترتكزان على ثلاثة كوابيل بارزة[٢٥٩].

أما الأبراج الباقية فتشتمل على شريط من الآجر الذى يتألف من خمسة مداميك، والذى يمتد بجانب السور، ويمتد أيضاً حول كل برج، ثم نجد ثلاثة مداميك حجرية، ثم يوجد شريط من الآجر المربع الصغير المصنوع على شكل معينات، ثم ثلاثة مداميك أخرى من الحجر، وبعدها نجد شريطًا آخر يتكون من أربعة أو خمسة مداميك من الآجر الذى تعلوه قبة آجرية، وكل برج يشتمل على غرفة صغيرة تعلوها قبة فيما عدا البرج المجاور للمدخل من الجهة الشمالية الذى يبدو أن فيه درج حلزونى، غير أن الدرجات كلها اختفت ولم يبق إلا اسطوانة فارغة(٢٦٠).

مسجد قصر الحير الشرقى

شيد مسجد قصر الحير الشرقى بالرصافة فى عام ١١٠هـ/ ٧٢٨م أى يرجع إلى تاريخ بناء قصر الحير الشرقى وقصر الحير الغربى الذى شيد أيضًا فى نفس التاريخ، حيث إن المنشآت الثلاث شيدت فى سنة واحدة، وتنقسم ظلة القبلة فى المسجد إلى ثلاث بلاطات تمتد من الشرق إلى الغرب موازية لجدار القبلة(٢٦١).

قصر الحير الغربى ١١٠هـ/٧٢٨م (أشكال ٣٥-٣٧)

يقع هذا القصر على بعد ٤٠ ميلاً إلى الجنوب الغربى من تدمر ويستدل على تاريخ هذا القصر من نصين، الأول على أحد أبواب الخان، وهو محفوظ حاليًا فى حديقة المتحف الوطنى بدمشق، أما النص الثانى فهو على جزء من حجر رخامى فى جناح قصر الحير بالمتحف الوطنى بدمشق، وقد جاءت مساحة القصر من أربعة أبنية أساسية تتمثل فى ساحة مستطيلة تمتد بطول ١٠٥٠م، وباتساع ٤٤٢م، وخزان بجدران جانبية لتجميع وتوزيع المياه، والخان، والقصر الذى يشتمل على حمام منزلى مجاور، وأما الساحة المستطيلة فقد أحيطت فى الأصل بجدار من اللبن على أساس من الحجر، وقد دعم الجدار فى الفواصل بأبراج نصف دائرية وضعت فى الأوجه الداخلية والخارجية بالتناوب وكان المدخل الرئيسى يقع بالزاوية الشرقية من هذه الساحة، ويماثل تصميم كل من الجدران

والمدخل مثيله فى قصر الحير الشرقى، أما الخزان فهو عبارة عن بناء دائرى من خلال جدار حجرى جاء بسمك ٢,٧٥م، أما الخان فكان فى الأصل من اللبن على قاعدة حجرية شأنه فى ذلك شأن الساحة المستطيلة، ويشكل بناء الخان مساحة مستطيلة عظيمة جاءت بمقاييس ٥٥,٧٥م من الجهة الشرقية، و ٥٤,١٠م من الجهة الشمالية، و ٥٥,٩٥م من الجهة الغربية، و ٥٥,١٠م من الجهة الجنوبية ومن الداخل جاء تخطيطه من صحن مكشوف بمقاييس تبلغ ٢٢,٥٠م × ٢٣م، ويحيط بالفناء رواق أو ظلة بعمق ٢,٥م، وذلك من خلال بائكة تتكون من دعامات يبلغ عددها ١٦ فى الجانبين الشمالى والجنوبى بواقع ثمانى دعامات فى كل جانب، كما يبلغ عددها ١٨ فى الجانبين الشرقى والغربى بواقع تسع دعامات فى كل جانب فى تناغم هندسى بديع، أما الدعامات فى الأركان فقد اتخذت حرف L فى وضع معدول وآخر مقلوب، وأما القصر فتبلغ مقاييسه بالأبراج ٧١,٤٥ من الجهة الشرقية، و ٧٠,٤٥ من الجهة الشمالية، و ٧٣,٠٣م من الجهة الغربية، و ٧١,٠٥م من الجهة الجنوبية تدعمه من الخارج أبراج نصف دائرية فى الجدران وشبه دائرية فى الأركان، ويحيط بالصحن من الداخل رواق أو ظلة على غرار الخان الذى تقدم ذكره ويتوصل إلى الصحن من مدخل رئيسى يتوسط الجهة الشرقية، وقد أوجد المعمار على جانبيه برجين بهيئة نصف دائرية بواقع برج فى كل جانب، وقد جاء المدخل باتساع ٣م، ويفضى بدوره إلى دهليز المدخل الذى يتوصل منه إلى الصحن أو الفناء. ويذكر د. السيد عبد العزيز سالم أنه ربما يكون القصر الذى ذكره الطبرى باسم الزيتونة، وقد ورد اسم الزيتونة فى نص ياقوت الحموى، حيث قال «الرصافة فى مواضع كثيرة منها: رصافة هشام بن عبد الملك فى غربى الرقة.. بناها هشام لما وقع الطاعون بالشام فكان يسكنها فى الصيف... ووجدت فى أخبار ملوك غسان.. ثم ملك النعمان بن الحارث بن الأبهم وهو الذى أصلح صهاريج الرصافة وصنع صهريجها الأعظم، وهذا يؤذن بأنها كانت قبل الإسلام بدهر ليس بالقصير ولعل هشاما عمر سورها أو بنى بها أبنية يسكنها» وقال أحمد بن يحيى: وأما رصافة

هشام فإن هشام بن عبد الملك أحدثها وكان ينزل فيها الزيتونة. »[٢٦٢]، ويضيف د. السيد عبد العزيز سالم أنه قد عثر فى أطلال هذا القصر على نقوش عربية وعلى تماثيل من النوع التدمرى الرومانى، وكان هذا القصر محاطًا بغابة من الأشجار الجنات، وقد وصلت إلينا عدة تصاوير من هذا القصر، وهى تصاوير يحتفظ بها متحف دمشق وتتضح بها التأثيرات الساسانية»[٢٦٣]. (شكل ٣٨)

المجموعة المعمارية فى عمان (القصر والمسجد) (شكل ٣٩)

تناول كريزويل المجموعة المعمارية الفخمة فى عمان والتى ذكرها ضمن أعمال الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك، وهى عبارة عن قلعة مركبة وقصر أموى، وفى هذا الصدد تناول دراسات Gaube و Northedge عن هذا البناء المركب، أما فيما يتعلق بالقصر، فقد نشر المسقط الأفقى عن Northedge ويضيف أن القصر يشغل موقع الساحة الرومانية القديمة المزدوجة فى النهاية الشمالية من القلعة، ثم يتحدث عن تخطيطه بصفة عامة فيذكر أنه على الجانب الجنوبى من الساحة الأولى المسورة توجد قاعة مربعة مقاييسها ٢٤,٤ × ٢٦,١م، وهى قاعة الاستقبال، وإلى الشمال منها يوجد فناء صغير (فناء واحد) بنفس الأبعاد والذى يؤدى إلى طريق قصير يشتمل على أعمدة، وفى الساحة الثانية توجد قاعة أبعد (البناء الشمالى) مقابلة للفناء الثانى الصغير، وهو بمقاييس ١٠ ×٢٤م، أى أنه يشغل مساحة مستطيلة، وعلى الجانب الشرقى من الطريق ذى الأعمدة والفناء الأول توجد ثلاث وحدات معمارية صفت فيها الحجرات حول الأفنية فى ثلاثة جوانب (الوحدات ٤,٥,٦) وبالقرب من البناء الشمالى توجد وحدتان (البناء ٢,٣)، ومخطط الوحدات السكنية الثلاث على الجانب الشرقى من المحتمل أنه تكرر على الجانب الغربى من الطريق (الأبنية ٧,٨,٩)[٢٦٤].

وقد شيدت قاعة الاستقبال التى تتقدم البناء من الجهة الجنوبية بالحجر الجيرى، يتوصل إليها من مساحة مستطيلة تفضى إلى فتحة مدخل، وتفضى هذه الفتحة بدورها إلى مساحة أخرى مستطيلة تؤدى فى الجهتين الشرقية والغربية إلى حجرة مستطيلة تمتد رأسيًا من الشمال إلى الجنوب، وذلك من خلال فتحتين،

بواقع فتحة فى كل جانب، ثم نصل إلى قاعة مربعة تتوسط قاعة الاستقبال، وقد أوجد المعمار تجويفين على جانبيها من الجهتين الشرقية والغربية بواقع تجويف فى كل جهة، ويغطى كل تجويف قبو نصف برميلى، ثم نصل من القاعة المربعة فى الجهة الجنوبية الغربية إلى مساحة مستطيلة تمتد أفقيًا من الشرق إلى الغرب على غرار المساحة المستطيلة التى تقع خلف فتحة الدخول، وقد أوجد المعمار قاعة فى الجهة الشرقية من هذه المساحة المستطيلة، وهى حجرة مستطيلة تمتد رأسيًا من الشمال إلى الجنوب، ثم حجرة أخرى فى الجهة الغربية تشتمل على سلم، وتؤدى قاعة الاستقبال التى تتقدم السور الجنوبى إلى الفناء الأول الذى يتوصل منه إلى البناء رقم ٦ على المسقط الأفقى، وذلك من الجهة الشرقية، ثم يتوصل من الفناء إلى الطريق الذى يشتمل على أعمدة، ويتوصل منه فى الجهة الشرقية إلى البناءين ٤، ٥، كما يتوصل منه فى الجهة الغربية إلى البناءين ٨، ٩، كذلك يتوصل منه من خلال مدخله فى نهايته إلى الفناء الثانى الذى يفضى بدوره إلى البناءين ٢، ٣.

الاستحكامات الحربية

عمارة حصن مورة وحصن بغراس

يحدثنا البلاذرى فى فتوح البلدان عن عمارة حصن مورة فى عهد الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك بقوله «وبنى هشام حصن مورة على يدى رجل من أهل أنطاكية وكان سبب بنائه إياه أن الروم عرضوا لرسول له فى درب اللكام عند العقبة البيضاء ورتب فيه أربعين رجلاً وجماعة من الجراجمة وأقام ببغراس مسلمة فى خمسين رجلاً وابتنى لها حصنًا»(٢٦٥).

عمارة حصن قطرغاش

يحدثنا البلاذرى عن هذا الحصن وتشييده من قبل الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك بقوله «وبنى هشام حصن قطرغاش على يدى عبد العزيز بن حيان الأنطاكى»(٢٦٦).

وقد ذكر ياقوت الحموى هذا الحصن فقال «قطرغاش: حصن من أعمال الثغور قرب المصيصة، كان أول من عمره هشام بن عبد الملك على يد عبد العزيز بن حسان الأنطاكى»(٢٦٧).

عمارة حصن بوقا (بوقة)

ومن الحصون التى شيدت أيضًا فى عهد الخليفة هشام بن عبد الملك حصن بوقا، قال البلاذرى «وبنى هشام حصن بوقا من عمل أنطاكية ثم جدد وأصلح حديثا»(٢٦٨).

وقد ذكره ياقوت الحموى بوقة فقال «من قرى أنطاكية، وفى كتاب الفتوح بني هشام بن عبد الملك حصن بوقة من عمل أنطاكية ثم جدد وأصلح حديثًا، ينسب إليها أبو يعقوب إسحاق بن عبد الله الجزرى البوقى.. وأبو سليمان داود بن أحمد البوقى..»(٢٦٩).

حمام الصرخ حوالى ١١٥هـ/٧٢٨م (شكل ٤٠، ٤١)

يقع هذا الحمام على بعد ثلاثة أميال جنوب شرقى قصير الحلابات، وعلى بعد نحو عشرين ميلاً من حمام الزرقاء الواقع على طريق الحج على بعد اثنى عشر ميلاً شمال عمان، كشفته بعثة جامعة برنستون برئاسة بتلر فى عام ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م، وبرجح د. زكى محمد حسن تشييده بعد قصير عمره بفترة قصيرة إعتماداً على دقة بنائه وعناصره المعمارية مقارنة بمثيلاتها فى قصير عمرة، ويؤرخ كريزويل حمام الصرخ ما بين ١٠٦ و ١١٧هـ/ ٧٢٥ و ٧٣٠م أى إلى عهد الخليفة هشام بن عبد الملك(٢٧٠).

يشبه مخطط حمام الصرخ مخطط قصير عمره فى هيئته العامة، ويختلف عنه فى التفاصيل، فقد جاء من(٢٧١) قسمين: أحدهما يمثل قاعة الاستقبال، ويمثل الآخر الحمام على غرار مخطط قصير عمرة، أما القسم الأول فيتكون من مساحة مستطيلة قسمها المعمار إلى ثلاثة أروقة طولية تمتد من الشمال إلى الجنوب، يفصلها عقدان على هيئة مدببة، وينتهى الرواق الأوسط فى الجهة الجنوبية الشرقية بحنية، وتكتنف الحنية غرفتان لخلع الملابس، وتشتمل كل غرفة على ثلاث فتحات على هيئة المزاغل حيث جاء تصميمها ضيقًا من الخارج متسعًا من الداخل، قام المعمار بتوزيع هذه الفتحات بشكل متناغم ومتناسق فى الغرفتين، ويختلف حمام الصرخ عن حمام قصيرة عمرة فى أن الغرفتين فى الحمام الأخير قد خلتا من فتحات تطل على الخارج، كما أن الغرفتين فى حمام الصرخ أوجد المعمار بهما دخلة مستطيلة يغطيها قبو مدبب صغير تبرز إلى الخارج عن الجدار الجنوبى الشرقى فى الطرفين الشرقى والغربى، وهو الأمر الذى يختلف وتصميم الغرفتين فى قصير عمرة، وقد استخدم المعمار فى تغطية وحدات قاعة الاستقبال من حجرتين وأروقة طولية الأقبية المدببة، بينما استخدمت فى قصير عمرة الأقبية

البرميلية، أما تصميم العقدين هنا فعلى هيئة مدببة، بينما فى قصير عمرة على هيئة نصف دائرية مما يوضح وجود اختلافات جوهرية فى التفاصيل المعمارية بين الحمامين على الرغم من التشابه فى المخطط العام.

ويتوصل إلى القسم الثانى المتمثل فى الحمام من الرواق الشرقى بقاعة الاستقبال كما هو الحال فى قصير عمرة، حيث نصل إلى القاعة الأولى الباردة، وهى مستطيلة يبلغ طولها ٣,٤٥م، وعرضها ٢,٥م، يغطيها قبو مدبب، ولا تشتمل على فتحات ويختلف تصميم قبو القاعة هنا وقبو القاعة مثيلتها فى قصير عمرة والذى جاء اسطوانيًا، كما تختلف عنها فى أن قاعة قصير عمرة تشتمل على فتحات، ويتوصل من القاعة الباردة إلى القاعة الثانية الدافئة، وهى مستطيلة يبلغ طولها ٣,٤م، كما يبلغ عرضها ٢,٢م، يغطيها قبو متقاطع، وقد أوجد المعمار فى جانبها الجنوبى الشرقى دخلة مستطيلة جاءت بعرض ١,٧م، وبعمق ١,٢م، وتتفق هذه القاعة مع مثيلتها فى قصير عمرة سواء فى أسلوب التغطية، أو فى وجود الدخلة المستطيلة، وتختلف عنها فى الموقع، وعدم اشتمالها على فتحات فهى هنا على المخطط تعلو القاعة الباردة، وفى قصير عمرة تقع على المخطط أسفل القاعة الباردة، ثم يتوصل من الغرفة الدافئة إلى الغرفة الثالثة الساخنة، وقد جاءت من مساحة مربعة تغطيها قبة مربعة من الداخل كانت مغطاة بطبقة من الملاط ومغشاة بقطع من الخزف، وقد أوجد المعمار دخلتين على هيئة نصف دائرية فى الجانبين الجنوبى الشرقى والشمالى الغربى، وتشرف القبة على الخارج من خلال فتحتين بالدخلتين بواقع فتحة فى كل دخلة، وتتفق هذه القبة وقبة قصير عمرة فى التكوين العام وتختلف عنها فى اشتمالها هنا على فتحتين من جهة، وعلى تضليع من الداخل من جهة أخرى.

ويذكر كريزويل أنه يبدو أن القبة كانت تشتمل على ثمانى نوافذ دائرية تحولت الآن إلى ثقوب كبيرة(٢٧٢).

وقد كانت جدران الحمام تزدان بنقوش جميلة شاهدها بتلر ثم الواموزيل قبل أن تندثر تمامًا، أما فيما يتعلق بمادة البناء فقد شيد الحمام من الحجر ذى المداميك المنتظمة(٢٧٣).

قصر القسطل (شكل ٤٢، ٤٣)

وينسب إلى الخليفة هشام بن عبد الملك قصر القسطل الذى يبعد نحو ٢٥ كم جنوبي عمان، وهو القصر الذى أشار إليه المؤرخ ابن الأثير عند ذكره قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك فى أحداث سنة ١٢٦هـ/ ٧٤٤م بما نصه «وكان العباس بالقسطل ويزيد بالبادية»(٢٧٤).

وفى موضع آخر أورد المؤرخ بن الأثير عند ذكره خلاف أهل فلسطين فى أحداث سنة ١٢٧هـ/ ٧٤٥م وذكر بيعة الخليفة الأموى مروان بن محمد بن مروان ذكر القسطل بقوله «وكان مروان بدير أيوب، فبايع لابنيه عبيد الله وعبد الله، وزوجهما ابنتى هشام بن عبد الملك وجمع كذلك بنى أمية واستقام له الشام ما خلا تدمر فسار إليها فنزل القسطل، وبينه وبين تدمر أيام..»(٢٧٥).

وقد خطط القصر ووصف بتفصيل من خلال Von Domaszewski على الرغم من أن عددًا من الرحالة الأوائل قد أشاروا إليه، وحديثا بحث بتفصيل من خلال H.Stern ووصف من خلال H.Gaube، والبناء الرئيسى يشغل مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها ٩٥م شاملة الأبراج وقد شيدت الجدران بالحجر بسمك ١,٦٥م، وقد دعمت الجدران بأبراج شبه ونصف دائرية، حيث أوجد المعمار أربعة أبراج شبه دائرية فى الأركان الأربعة بواقع برج فى كل زاوية وهى أبراج مصمتة بالنسبة لجدران القصر، كما أوجد المعمار الأبراج الأخرى على استقامة الجدران، وهى أبراج نصف دائرية يبلغ عددها ثلاثة أبراج فى الجدار الجنوبى بين البرجين الركنيين، وهى موزعة من قبل المعمار بشكل هندسى متناغم أما الجدار الشمالى فيشتمل أيضًا على ثلاثة أبراج نصف دائرية على نفس النمط، وتقع هذه الأبراج على محور أبراج الجدار الجنوبى فى تناغم هندسى رائع، كذلك يشتمل الجدار المقابل لجدار المدخل الرئيسى على ثلاثة أبراج، وبذلك أوجد المعمار توافقًا معماريًا فى عدد وتصميم الأبراج فى الجدران الثلاثة التى تقدم ذكرها، غير أننا نلاحظ أن الجدار الرابع الذى يمثل جدار المدخل أوجد

به المعمار أربعة أبراج نصف دائرية، وهو الأمر الذى يتباين والجدران الثلاثة الأخرى، وقد ورع المعمار هذه الأبراج بشكل غير متناسق فى البرجين على جانبى المدخل، وتفصيل ذلك أن المعمار أوجد برجين على جانبى المدخل الرئيسى والوحيد بواقع برج فى كل جانب ثم أوجد برجين فى الجهتين الجنوبية والشمالية للمدخل، ويتوسط البرج الذى يقع فى الجهة الشمالية من المدخل العمومى المسافة الممتدة من المدخل إلى برج الزاوية الشمالية من جهة المدخل، أما البرج الآخر فلا يتوسط المسافة الممتدة فى الجهة الجنوبية من المدخل العمومى، وبصفة عامة يلاحظ أن القسم الشمالى من جدار المدخل العمومى أكثر طولاً أو امتداداً من القسم الجنوبى، ويلاحظ أن برج القسم الجنوبى الذى يقع بين المدخل العمومى والبرج الركنى أقرب إلى المدخل منه إلى البرج الركنى(٢٧٦).

ويتوصل من المدخل العمومى إلى قاعة مستطيلة أفقية تمتد من الشرق إلى الغرب تنتهى بفتحة مدخل يتوصل منها إلى قاعة أخرى مستطيلة على نفس النمط، ويتوصل من القاعة الأخيرة إلى فناء القصر الذى جاء من مساحة مربعة تشرف عليها أقسام القصر، وبصفة عامة فإن القسم الشرقى يشبه القسم الغربى فى شكله العام غير أنه يختلف عنه فى التفاصيل، كما أن القسم الشمالى يشبه القسم الجنوبى فى شكله العام، غير أنه أيضًا يختلف عنه فى التفاصيل.

وعلى بعد أمتار قليلة من النهاية الغربية للجزء الشمالى من القصر يوجد بناء اعتبر من قبل Brünnow و Von Domaszewski امبراطورى (رومانى)، ولكنه كما يذكر كريزويل فى الحقيقة يعد مسجداً، وقد جاءت جدرانه بسمك ٦٧سم، وبنى من كتل تماثل تلك التى استخدمت فى بناء القصر، وهو يشغل مساحة مستطيلة مقاييسها ٢١ ×١٨م، ويشتمل فى الزاوية الشمالية الغربية على برج مستدير بقطر ٦م تقريبًا، ويتكون المسجد من الداخل من فناء مقاييسه ١٧ × ١٠م، أما بيت الصلاة فتبلغ مقاييسه ١٦ × ٥م، ويشتمل المسجد على مدخلين أحدهما فى الجهة الشرقية والآخر فى الجهة الغربية، ويوجد باب فى الجدار

الشمالى يؤدى من الفناء إلى حجرتين يعدان من الإضافات اللاحقة على البناء، كما يوجد باب فى الجدار الجنوبى يؤدى إلى بيت الصلاة الذى غطى بقبو برميلى، وأنه من الواضح أن الجدار الأصلى بين بيت الصلاة والصحن قد أضيف من خلال جدار مضاف فى كل جانب، والبرج المستدير فى الزاوية الشمالية الغربية يعد بقايا المئذنة، وهو قائم إلى ارتفاع ٩م تقريبًا، وعند ارتفاع ٨,٤م يزدان بكتل حجرية، ويوجد سلم حلزونى يؤدى إلى أعلاها(٢٧٧).

الوليد بن يزيد ١٢٥-١٢٦هـ/٧٤٣-٧٤٤م

هو الوليد بن يزيد بن مروان، ذكره الطبرى فى أحداث سنة ١٢٥هـ/ ٧٤٣م فقال «وفى هذه السنة ولى الخلافة بعد موت هشام بن عبد الملك الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان، وليها يوم السبت فى شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة فى قول هشام بن محمد.. وأما محمد بن عمر فإنه قال: استخلف الوليد.. يوم الأربعاء لست خلون من شهر ربيع الآخر من سنة خمس وعشرين ومائة»(٢٧٨).

وقد ذكره ابن الأثير فقال «هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن عبد شمس بن عبد مناف الأموى، يكنى أبا العباس، وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفى، وهى بنت آخى الحجاج بن يوسف وأم أبيه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبى سفيان، وأمها أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر بن كريز، وأم عامر بن كريز أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب»(٢٧٩).

قصور الوليد بن يزيد (أشكال ٤٤-٥٢) (لوحة ٢٠، ٢١)

من القصور الأموية التى ترجع إلى العصر الأموى وتنسب للخليفة الوليد بن يزيد قصر خربة المفجر الذى نسبة د. عفيف بهنسى إلى الخليفة هشام، ونسبه كريزويل إلى الوليد بن يزيد، ثم قصر المشتى حوالى ١٢٥هـ/ ٧٤٣م، ويقع على بعد ٢٠ ميلاً جنوبى عمان، وهو القصر الذى كشفت أطلاله على يد لياردLayrd)) ثم تريسترام (Tristram) فى عام ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م ثم قصر الطوبة حوالى ١٢٥هـ/ ٧٤٣م.

قصر خربة المفجر

ومن القصور التى تنسب إلى الخليفة الوليد الثانى قصر خربة المفجر، وهو يقع على بعد ثلاثة أميال شمال أريحا بالقرب من البحر الميت، وقد زار هذا القصر كل من Warren و Condor فى سنة ١١٨٧هـ/ ١٨٧٣م، وأجريت به الحفائر من قبل البعثة الفلسطينية للآثار خلال الفترة من ١٣٥٣-١٣٥٤هـ/ ١٩٣٤-١٩٣٥م إلى ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م وتتكون بقايا هذا القصر من خمس منشآت أساسية هى على النحو التالى:

١- قصر من طابقين، وهو تقريبًا يشغل مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها من الداخل ٦٥م.

٢- يتقدم أو يلى الجانب الشمالى للقصر ويستمر خط مستقيم يوجد على جانبيه فى الجهة الشرقية مسجد يشتمل على محراب مجوف فى الجدار الجنوبى (جدار القبلة).

٣- ويستمر الخط المستقيم للجانب الغربى من القصر، حيث يوجد جدار بامتداد ٤٠م والذى ينتهى ببرج شبه مستدير (ثلاثة أرباع الدائرة) ثم يستدير شرقًا لكى يكون فناءً مقاييسه نحو ٤٠ × ٤٥م، وقد شكل جانبه الشمالى من خلال الحمام.

٤- الحمام(٢٨٠).

٥- مقدم الفناء.

ويشتمل القصر على فناء أوسط مكشوف تحيط به بائكة من الجوانب الأربعة، وتتكون هذه البائكة من الجهات الأربع من خمسة عقود، وقد صممت الدعامات فى الأركان على هيئة حرف L فى وضع معدول ومقلوب وهو الأسلوب الذى وجدناه قبل ذلك فى معظم القصور الأموية التى تقدم ذكرها، ثم أوجد المعمار أربعة أقسام للقصر تشرف على الرواق الذى تكون أو تشكل نتيجة وجود البائكة الخماسية التى تقدم ذكرها والذى يشرف بدوره على الصحن، ويماثل القسم

الشرقى من القصر القسم الغربى فى شكله العام ويتباين معه فى التفاصيل، أما القسم الجنوبى فقد جاء من خمس قاعات مستطيلة تمتد رأسيًا من الشمال إلى الجنوب تفتح على الرواق الذى يشرف على الصحن وهو يختلف تماما والقسم الشمالى من عمارة القصر الذى وجد كما يتضح من المسقط الأفقى عبارة عن قاعة مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب بشكل أفقى، يتوصل إليها من الرواق الذى يشرف على الصحن، أما المسجد فقد جاء من مساحة مستطيلة تنقسم إلى صحن وظلة للقبلة يتوصل إلى داخله من الجدار الشمالى من مدخلين أحدهما يقع على محور المحراب، وتتكون ظلة القبلة من بلاطتين موازيتين لجدار القبلة وثلاث بلاطات عمودية على هذا الجدار.

تاريخ القصر

يذكر كريزويل أنه عثر فى عام ١٣٥٥-١٣٥٦هـ / ١٩٣٦-١٩٣٧م على لوح رخامى صغير فى حالة سيئة من الرخام الأبيض ذلك أن رجل اسمه «عبيد الله قد كتب بالحبر رسالة ود إلى الخليفة هشام ربما أخذت كدليل واضح أن هذه العمارة المركبة شيدت فى أثناء حكمه بين ٧٢٤ و ٧٤٣هـ (١٣٢٣ و ١٣٤٢م)، ومع ذلك هذا لا يثبت أن مالك هذا القصر كان هشام نفسه[٢٨١].

وقد أورد د. السيد عبد العزيز سالم أن هذا القصر كان قصرًا شتويًا تزدان جدرانه برسوم آدمية وحيوانية، ويوجد اسم الخليفة هشام مسجلاً على أحد جدران القصر، وقد عثر فى إحدى قاعات القصر على تمثال لفتاة تحمل حزمة من الأزهار، كما عثر على لوحة تمثل فتيات يرقصن وقد صبغن شفاهن وأظافر اليدين والقدمين بصبغة قرمزية، هذا بالإضافة إلى الفسيفساء التى تتجلى فيها رسوم نباتية تمثل شجرة الحياة يحيط بها من اليمين صورة أسد ينقض على غزال، ومن اليسار غزالان بين أزهار، وكلها ملونة بألوان زاهية[٢٨٢].

وقد ذكر أيضًا أن الوليد بن يزيد كان ينزل بالقصر الأزرق ببادية الأردن على

بعد ١٢ ميلاً إلى الشرق من قصير عمرة، ويقع هذا القصر بين أرض بلقين وفزارة على ماء يقال له الأغدق ويسمى أحيانا الغدف.

وسوف أتناول هنا قصرين من قصور الخليفة الوليد بن يزيد هما قصر المشتى الذى تقدم ذكره، ثم قصر الطوبة الذى يعود إلى نفس تاريخ قصر المشتى تقريبًا وهو ١٢٥هـ/ ٧٤٤م، وهو القصر الذى يقع على بعد ستين ميلاً إلى الجنوب الشرقى من عمان، فهو يشبه فى نظامه قصر المشتى، وقد اكتشفه الواموزيل فى عام ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م قبل بضعة أيام من اكتشافه قصير عمرة.

أولا: قصر المشتى حوالى ١٢٥هـ/٧٤٣م (أشكال ٥٣-٥٨)

يقع قصر المشتى على بعد ٢٠ ميلاً جنوبى عمان، وقد كشفت أطلاله على يد ليارد Layrd فى عام ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م، ثم تريسترام Tristram فى عام ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م، وقد اختلفت الآراء حول تاريخ البناء، فذهب فريق من العلماء إلى أنه من آثار الملوك اللخميين فى الحيرة من القرن الرابع الميلادى وقال فريق آخر إنه من آثار الغساسنة فى القرن السادس الميلادى، وقال فريق ثالث بنسبته إلى كسرى الثانى حين خضعت له بادية الشام فيما بين ٦١٠و ٦٢٣م وقبل هزيمته على يد هرقل، ونسبه آخرون إلى العصر الأموى، ويرجح د. زكى محمد حسن الرأى الأخير نظراً لضخامة البناء من جهة، ووجود بعض العناصر المعمارية التى تؤيد نسبته إلى بداية العصر الإسلامى مثل مادة البناء والعقود والأبنية، ثم وجود بعض العناصر الزخرفية التى تشبه مثيلاتها بقبة الصخرة من جهة أخرى، ورأى البعض من أصحاب الفريق الأخير نسبته إلى يزيد الثانى الخليفة الأموى فيما بين عامى ١٠١و ١٠٥هـ/ ٧٢٠ و ٧٢٤م، ورأى البعض الآخر نسبته إلى الخليفة الأموى الوليد الثانى، وهو الوليد بن يزيد بن عبد الملك فيما بين عامى ١٢٥ و ١٢٦هـ/ ٧٤٣ و ٧٤٤م، وفى الوقت الذى لم يرجح فيه د. زكى محمد حسن نسبة القصر إلى أحدهما رجح كل من كريزويل ود. فريد شافعى نسبته إلى الخليفة الوليد الثانى فى عام ١٢٥هـ/ ٧٤٣م(٢٨٣).

يشغل مخطط القصر مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها ١٤٤م من الداخل، قسمها المعمار إلى ثلاثة أقسام طولية تمتد من الجنوب إلى الشمال، ثم قسم القسم الأوسط إلى قسمين يفصل بينهما فناء، ويحيط بها سور جاء بسمك ١,٧م تدعمه أبراج نصف دائرية فى الجدران يبلغ قطرها ٥,٢٥م وشبه دائرية فى الأركان يبلغ قطرها ٧م وزعت بشكل متناغم، ويتوصل إلى داخله من خلال المدخل الوحيد بالجهة الجنوبية والذى يتوسط الجدار، ويكتنفه برجان جاء تصميمهما على هيئة

مضلعة من خمسة أضلاع، ويبلغ عرض كل منهما ٦,٣م، وهو الأمر الذى يختلف وتصميم الأبراج التى تقدم ذكرها سواء فى الجدران أو فى الأركان، وجاءت مادة البناء من حجارة كلسية، يتراوح ارتفاع المداميك فيها من ٣٧ إلى ٤٣سم.

والواقع أن القصر يتميز من خلال هذه الواجهة الجنوبية فهى من أروع عناصره المعمارية والفنية، حيث تزدان بزخارف محفورة فى الحجر الجيرى قوامها شريط زخرفى من ورقة الاكانتس يقسم الواجهة إلى مثلثات بعضها قائم على قاعدته، والبعض الآخر قائم على رأسه، ويزدان كل مثلث فى وسطه بزخرفة نباتية على هيئة وردة حليت فى داخلها بمراوح نخيلية وكيزان صنوبر ونجوم صغيرة وأشجار لوتس، وتغطى أرضية المثلثات المعدولة زخارف دقيقة محفورة حفراً عميقًا من عناصر زخرفية نباتية وأشكال حيوانات متقابلة بينها أشكال أوانى وغير ذلك من العناصر الزخرفية بحيث جاءت الواجهة فى مجملها آية من آيات الفن الإسلامى، وقد اكتملت زخرفة المثلثات المعدولة أو كادت، بينما لم تكتمل زخارف المثلثات المقلوبة، وفى طرفى الواجهة وحول المدخل أربعة أنصاف مثلثات تزدان فى داخلها أى فى داخل كل نصف بنصف وريدة(٢٨٤).

هذا وقد جاءت عشرة مثلثات خالية من رسوم الطيور والحيوانات، أما بقية المثلثات وتتكون من اثنى عشر فتزدان برسوم الطيور والحيوانات، فالمثلثات الأولى هى التى تقع على البرج الأيمن والقسم المستوى المتصل به، وذكر أن السبب فى ذلك أن المنشئ اقتنع بكراهية تصوير الكائنات الحية بعد أن أتم القسم الأكبر منها وذكر أن السبب هو إحداث تباين فى زخارف القسمين، وذهب هرتزفلد أن الصناع لم يكونوا من جنس واحد، ويرجح د.زكى محمد حسن الرأى الثانى(٢٨٥).

وقد استطاع القيصر أن ينال هذه الواجهة هدية من السلطان عبد الحميد فى عام ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م، ونقلت إلى متحف القيصر فردريك فى برلين، حيث أصبحت نواة للقسم الإسلامى الذى تم افتتاحه فى متاحف الدولة فى برلين عام ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م(٢٨٦).

ويتوصل من المدخل إلى دهليز مستطيل جاء باتساع ٩,٢٣م، وبعمق ١٧,٤م أوجد المعمار على جانبيه صفًا من القواعد المستطيلة يرى كريزويل أنها على

الأرجح وجدت لكى تحمل الأعمدة التى تحمل بدورها العقود المستعرضة[٢٨٧].

هذا وقد أوجد المعمار قاعتين مستطيلتين على جانبى دهليز المدخل من الجهتين الشرقية والغربية بواقع قاعة فى كل جانب تمتد من الجنوب إلى الشمال بنفس اتساع دهليز المدخل، ثم يتوصل من الدهليز إلى فناء مستطيل جاء باتساع ٢٧,٤م، وبعمق ٢١,٧م، وعلى الجوانب الأربعة للفناء توجد قواعد مساحتها ١,٢٥م، وتبلغ المسافة بينها من ٣,٣٠ - ٣,٤٠م، وربما كان الغرض منها حمل الأعمدة التى ربما حملت بدورها العقود لتعطينا رواقًا مسقوفًا يحيط بالفناء من جميع الجهات[٢٨٨].

وتكتنف القاعات الثلاث والفناء حجرات مستطيلة تتكون من طابقين تنوعت ما بين حجرات طولية وأخرى عرضية، وتتميز القاعة التى فى الركن الجنوبى الغربى والتى جاءت من مساحة مستطيلة يبلغ اتساعها ١٣,٤م بعمق ٢٨م من خلال اشتمالها على تجويف عبارة عن حنية باتساع ١,٦٢م أو محراب مما يدل على أنها ربما كانت تمثل مسجد القصر، وتمثل هذه الوحدات المعمارية القسم الأول أو الجنوبى من عمارة القصر.

ويتوصل من هذا القسم إلى فناء فسيح جاء من مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها ٥٧م، وقد حدد الفناء من الجانبين الشرقى والغربى بجدار يشتمل فى نهايته الجنوبية من الجهتين الشرقية والغربية على فتحة يتوصل منها إلى القسمين اللذين يقعان فى الجانبين الشرقى والغربى، حيث يتكون القصر فى مجمله من ثلاثة أقسام يضم القسم الأوسط وحداته وعناصره المعمارية.

ويتوصل من الفناء الأخير إلى القسم الثانى أو الشمالى من عمارة القصر، وهو القسم الملكى، حيث نصل إلى ثلاث بلاطات من خلال ثلاث فتحات، تتميز البلاطة الوسطى بأنها أكثر اتساعًا من البلاطتين الجانبيتين، وتنتهى القاعة أو البلاطة الوسطى بقاعة العرش وهى عبارة عن مساحة مربعة تشتمل على ثلاث حنيات نصف دائرية وزعت بشكل هندسى بديع على الجهات الشمالية والشرقية والغربية على هيئة عقد ثلاثى باتساع ٥,١٥م، وعمق ٣,٨م، وتفتح البلاطة الشرقية على فناء مستطيل يمتد من الشرق إلى الغرب بشكل عمودى على حنية

العرش تحيط به القاعات السكنية، كما تفتح البلاطة الغربية فى نهايتها الشمالية شأنها فى ذلك شأن البلاطة الشرقية على فناء مماثل تحيط به القاعات السكنية، كذلك أوجد المعمار فتحتين على جانبى الحنية الوسطى من قاعة العرش، بواقع فتحة فى كل جانب، بحيث تؤدى الشرقية إلى قاعة مستطيلة تمتد من الشمال إلى الجنوب، ثم تؤدى بدورها إلى تجويف عبارة عن حنية نصف دائرية فى الجدار الشمالى للقصر، أما الفتحة الغربية فتؤدى إلى قاعة مستطيلة محددة من الجهة الشمالية بسور القصر، ولا تشتمل على فتحات. أما الوحدات السكنية فقد أوجدها المعمار على جانبى قاعة العرش أو قاعة الاستقبال، وهى عبارة عن أربع وحدات سكنية حيث يتكون الجناح الشرقى من فناء يتوصل إليه من البلاطة الشرقية كما تقدم ووحدتين سكنيتين إحداهما فى الجهة الشمالية من الفناء والأخرى فى الجهة الجنوبية، ويماثل الجناح الغربى فى تخطيطه الجناح الشرقى تماما، ويتبع تخطيط الوحدات السكنية هنا الأسلوب الشامى والذى يتكون من فناء مكشوف أوسط مستطيل، وفى كل من جانبيه الطويلين قاعتان ملتصقتان ببعضهما، بحيث تفتح هذه القاعات على الفناء الأوسط، وهو الأمر الذى يتضح فى ضوئه أن الوحدات السكنية التى شيدت فى بادية الأردن نفذت وفقا للأسلوب أو النموذج الشامى، بينما نفذت الوحدات السكنية من دور ودار للإمارة فى مدينتى البصرة والكوفة وفقا للنموذج الحيرى. ويتوصل أيضا للوحدات السكنية وللفناءين الرئيسيين الفاصلين بينهما من القسمين الجانبيين للقصر من خلال فتحة بالجدارين الشرقى والغربى للفناءين تقع على محور الفتحة التى تقدم ذكرها، ثم يتوصل إلى الوحدتين السكنيتين بالجهة الشمالية من خلال فتحة تفضى إلى قاعة مستطيلة تنتهى بتجويف نصف دائرى بالسور الشمالى للقصر، ويلاحظ أن الفتحات سواء فى الأفنية أو القاعات السكنية تتوسط الجدران بشكل متناغم، وتغطى القاعات أقبية مدببة، وتوجد دورات المياه والحمامات فى تجاويف السور الشمالى والتى تقدم ذكرها.

وقد شيدت جدران القصر الداخلية وأقبيته بالآجر، أما الأعمدة فمن الرخام، وشيدت عقوده من الحجر الجيرى(٢٨٩).

ثانيا: قصر الطوبة حوالى ١٢٥هـ/٧٤٤م (أشكال ٥٩ - ٦٢)

يقع هذا القصر على بعد ستين ميلا إلى الجنوب الشرقى من عمان. ينسب إلى الخليفة الأموى الوليد الثانى فهو يشبه فى نظامه قصر المشتى اكتشفه الواموزيل فى عام ١٣١٦هـ/١٨٩٨م قبل بضعة أيام من اكتشافه قصير عمرة، ويشغل هذا القصر مساحة مستطيلة تمتد أفقيا من الشرق إلى الغرب بمقدار ٥٠, ١٤٠م، وتمتد من الشمال إلى الجنوب بمقدار ٨٥, ٧٢م[٢٩٠].

قسم المعمار عمارة القصر إلى كتلتين معماريتين متطابقتين يحيط بهما سور خارجى تدعمه أبراج تنوعت فى مسقطها ما بين أبراج نصف دائرية وشبه دائرية ومربعة، وكل منهما جاء من مربع يزيد طول ضلعه على ٧٠م، وتفصيل ذلك أن الجدار الشمالى يشتمل على مدخلين، حدد كل مدخل من الجانبين ببرج مربع، ويتوسط المساحة بين المدخلين برج نصف دائرى يربط ما بين الكتلتين، ينقسم تجويفه إلى قسمين، أما الجدار الجنوبى فيشتمل على أربعة أبراج نصف دائرية مصمتة بواقع برجين فى كل كتلة، وقد فصل المعمار بينهما ببرج يربط بين الكتلتين على غرار البرج المقابل له والذى يتوسط المدخلين بالجدار الشمالى، كذلك أوجد المعمار برجين مجوفين فى الجدار الشرقى على هيئة نصف دائرية ومثلهما فى الجهة الغربية، مما أحدث تناسقا رائعا وتناغما بديعا فى تخطيط وعمارة القصر، هذا وقد أوجد المعمار أربعة أبراج شبه دائرية فى أركان القصر، وهى مجوفة بواقع برج فى كل ركن، ويتوصل إلى جميع الأبراج المجوفة فى السورين الشرقى والغربى من خلال دهليز يتوصل إليه من خلال أفنية وقاعات الجانبين الشرقى والغربى من عمارة القصر.

وحيث أن الكتلتين أوجدهما المعمار بهيئة متماثلة فسوف أتناول كتلة واحدة

فى الوصف المعمارى، حيث يتوصل إلى داخل هذه الكتلة من خلال مدخل يتوسط الجدار الشمالى، ويكتنف المدخل برجان مربعان مجوفان، يؤدى المدخل إلى ثلاث بلاطات، تتميز البلاطة الوسطى بأنها أكثر اتساعا من البلاطتين الجانبيتين، وتفضى البلاطة الوسطى إلى الفناء الرئيسى، وعلى جانبى الفناء من الجهتين الشرقية والغربية أوجد المعمار فناءين متصلين فى الجهة الشرقية، وفى الجهة الغربية يفصل بينهما دهليز يمتد من الشرق إلى الغرب ليربط بين الكتلتين المعماريتين، وفى كل ركن من أركان الفناء الرئيسى أوجد المعمار وحدة سكنية تتكون من فناء أوسط مستطيل تفتح عليه أربع قاعات سكنية، وتتطابق هذه الوحدات ومثيلاتها فى قصر المشتى، وهى فى هذا التطابق تتبع الأسلوب أو النموذج الشامى الذى تقدم ذكره.

وقد ذكر أن تخطيط هذه الوحدات السكنية، فى قصرى المشتى والطوبة متأثرة بالوحدات السكنية فى قصر يعرف «القسطل» يقع على بعد ستة كيلو مترات إلى الغرب من قصر المشتى، وينسب إلى الغساسنة فى القرن السادس الميلادى، كما أن هذه الوحدات وجدت فى قصر «حرانة» الذى يقع على بعد اثنى عشر ميلا فى الجنوب الغربى من قصير عمرة، والذى عثر فيه على كتابات كوفية مؤرخة ٩٢هـ/ ٧١٠م، ويعتقد أيضا أنه يرجع إلى ما قبل العصر الإسلامى، ويرى د. فريد شافعى إمكان نسبة كل من القصرين إلى العصر الأموى اعتمادا على تخطيط الوحدات السكنية[٢٩١].

يزيد بن الوليد ١٢٦هـ/٧٤٤م

ولى يزيد بن الوليد الخلافة بدمشق فى جمادى الآخرة من سنة ١٢٦هـ/ ٧٤٤م، وتوفى فى ذى الحجة من هذه السنة بعد أن بقى فى الخلافة خمسة أشهر، قال ابن الأثير فى أحداث سنة ١٢٦هـ/ ٧٤٤م «فى هذه السنة بويع يزيد بن الوليد الذى يقال له الناقص، وإنما سمى الناقص لأنه نقص الزيادة التى كان الوليد زادها فى عطيات الناس، وهى عشرة عشرة ورد العطاء إلى ما كان أيام هشام، وقيل: أول من سماه بهذا الاسم مروان بن محمد»[٢٩٢].

إبراهيم بن الوليد ١٢٦هـ/٧٤٤م

ولى إبراهيم بن الوليد الخلافة بدمشق، غير أنه لم يمكث فى الخلافة أكثر من شهرين، قال ابن الأثير فى أحداث سنة ١٢٦هـ/ ٧٤٤م «وفى هذه السنة أمر يزيد بن الوليد بالبيعة لأخيه إبراهيم، ومن بعده لعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك.. فلما مات يزيد بن الوليد قام بالأمر بعده أخوه إبراهيم.. فمكث أربعة أشهر، وقيل: سبعين يوما، ثم سار إليه مروان بن محمد فخلعه..»[٢٩٣].

مروان بن محمد ١٢٧ - ١٣٢هـ/٧٤٤-٧٥٠م

أورد الطبرى فى أحداث سنة ١٢٧هـ/ ٧٤٤م «وفى هذه السنة بويع بدمشق لمروان بن محمد بالخلافة»(٢٩٤).

وكان مقتل مروان بن محمد بمصر، قال ابن الأثير فى أحداث سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩م «وفى هذه السنة قتل مروان بن محمد، وكان قتله ببوصير، من أعمال مصر، لثلاث بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة»(٢٩٥).

مدينة حران عاصمة للخلافة

قال ابن الأثير عند ذكره بيعة مروان بن محمد «وكان أول من بايعه معاوية بن يزيد بن حصين بن نمير ورؤوس أهل حمص والناس بعده، فلما استقر له الأمر رجع إلى منزله بحران، وطلب منه الأمان لإبراهيم بن الوليد وسليمان بن هشام، فأمنهما، فقدما عليه، وكان سليمان بتدمر بمن معه من إخوته وأهل بيته ومواليه الذكوانية، فبايعوا مروان بن محمد»(٢٩٦).

وقد ذكر ياقوت الحموى مدينة حران بقوله «.. وهى مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور، وهى قصبة ديار مضر.. وهى على طريق الموصل والشام والروم..»(٢٩٧).

الاستحكامات الحربية

عمارة مدينة مرعش

يحدثنا البلاذرى عن عمارة مرعش فى عهد مروان بن محمد بقوله «ثم إن

العباس بن الوليد بن عبد الملك صار إلى مرعش فعمرها وحصنها ونقل الناس إليها وبنى بها مسجدًا جامعًا. . فلما كانت أيام مروان بن محمد وشغل بمحاربة أهل حمص خرجت الروم ومصرت مدينة مرعش حتى صالحهم أهلها على الجلاء فخرجوا نحو الجزيرة. . ثم أخربوها وكان عامل مروان عليها يومئذ الكوثر بن زفر بن الحارث الكلابى. . ثم لما فرغ مروان من أمر حمص وهدم سورها بعث جيشًا لبناء مرعش فبنيت ومدنت»[٢٩٨].

وقال ياقوت عند ذكره مرعش «وفى وسطها حصن عليه سور يعرف بالمروانى بناه مروان بن محمد»[٢٩٩].

عمارة حصن منصور

يحدثنا البلاذرى عن حصن منصور فى عهد مروان بن محمد بقوله «وحدثنى أبو عمرو الباهلى وغيره، قالوا: نسب حصن منصور إلى منصور بن جعونة بن الحارث العامرى من قيس، وذلك أنه تولى بناءه ومرقبه، وكان مقيما به أيام مروان ليرد العدو ومعه جند كثيف من أهل الشام والجزيرة»[٣٠٠].

مساجد صغيرة تنتمى إلى نهاية العصر الأموى ٨٩-١٣٢هـ/٧٠٨-٧٥٠م

مسجد قصير الحلابات ٨٩-١٣٢هـ/٧٠٨-٧٥٠م (شكل ٦٣)

يعد مسجد قصير الحلابات من المساجد الصغيرة التى ترجع إلى نهاية العصر الأموى، وقد اكتشفت آثار هذا المسجد بالقرب من عمان، ويذكر كريزويل أن هذا المسجد يقع على بعد ثلاثة أميال جنوب الحصن الرومانى الذى عرفه العرب تحت اسم قصر الحلابات، وجاء عبارة عن مسجد صغير يبلغ عرضه من الداخل ١٠,٧م، كما يبلغ طوله من الداخل ١١,٨م، ويبلغ سمك الجدران ٨٢سم، وقد شيدت هذه الجدران بالحجر الكلسى فى مداميك يبلغ ارتفاعها ٤٠سم، ويبلغ عرض المحراب ١,٢م تعلوه فتحة دائرية، ويوجد فى الداخل افريز زخرفى على ارتفاع ١,٢م[٣٠١].

مسجد خان الزبيب ٨٩-١٣٣هـ/٧٠٨-٧٥٠م

يعد مسجد خان الزبيب من المساجد الصغيرة التى أرجعها كريزويل إلى الفترة الواقعة فيما بين ٨٩هـ/٧٠٨م و ١٣٢هـ/ ٧٥٠م أى إلى نفس فترة تأريخ مسجد قصير الحلابات الذى تقدم ذكره، وقد شيد هذا المسجد بأسلوب يتفق وأسلوب بناء مسجد قصر الحير الشرقى بالرصافة الذى تقدم ذكره، وهو الأمر الذى يتفق أيضًا ومسجد قصير الحلابات(٣٠٢).

مسجد أم الوليد ٨٩-١٣٢هـ/٧٠٨-٧٥٠م

يعد هذا المسجد آخر المساجد الثلاثة التى نسبها د. أحمد فكرى إلى نهاية العصر الأموى خلال الفترة الواقعة فيما بين ٨٩هـ/٧٠٨م و ١٣٢هـ/ ٧٥٠م، وتقع آثار هذا المسجد ومسجد خان الزبيب الذى تقدم ذكره على بعد مائة كم جنوبى عمان، ويتفق هذا المسجد فى تأريخه وأسلوب بنائه مع مسجدى قصير الحلابات وخان الزبيب هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يتفق هذا المسجد فى أسلوب البناء ومسجد قصر الحير الشرقى بالرصافة شأنه فى ذلك شأن مسجد قصير الحلابات ومسجد خان الزبيب(٣٠٣).

قصور ذكرها ياقوت الحموى وتنسب إلى الأمويين

ذكر ياقوت الحموى من القصور قصر أم حكيم «بمرج الصفر من أرض دمشق، هو منسوب إلى أم حكيم بنت يحيى، ويقال بنت يوسف.. وكانت زوجة عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك فطلقها فتزوجها هشام، واليهاينسب أيضا سوق أم حكيم بدمشق»(٣٠٤).

ومن هذه القصور «قصر حجاج: محلة كبيرة فى ظاهر باب الجابية من مدينة دمشق، منسوب إلى حجاج بن عبد الملك بن مروان»(٣٠٥).

هوامش وتعليقات الفصل الأول

(١) واسم أبى سفيان صخر بن حرب. الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير) ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م: تاريخ الطبرى (تاريخ الأمم والملوك) (من سنة ٣٦ للهجرة لغاية السنة ٩٠ للهجرة)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، المجلد الثالث، ص ٢٦٣.

(٢) ذكر الطبرى أن «من نسائه ميسون بنت بحدل بن أنيف بن ولجة بن قنافة بن عدى بن زهير بن حارثة بن جناب الكلبى، ولدت له يزيد بن معاوية» قال على: ولدت ميسون لمعاوية مع يزيد أمة ـ رب المشارق ـ فماتت صغيرة ومنهن فاختة ابنة قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف، ولدت له عبد الرحمن وعبد الله ابنى معاوية، ومنهن نائلة بنت عمارة الكلبية، ومنهن كتوة بنت قرظة أخت فاختة، فغزا قبرس وهى معه، فماتت هنالك.

الطبرى: تاريخ الطبرى، مج٣، ص ٢٦٤، ابن الأثير (عز الدين أبى الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد أبى عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى) ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م : الكامل فى التاريخ، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمرى، دار الكتاب العربى، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، الجزء الثالث (من قيام الدولة الأموية حتى وفاة عبد الملك (من سنة ٤١ - إلى سنة ٨٦هـ)، ص ١٢٤.

(٣) أسلم معاوية يوم فتح مكة هو وأبوه وأخوه يزيد وأمه هند، وله من العمر ثلاث وعشرون سنة، جاء فى السيرة النبوية لابن هشام «حتى إذا جاءهم

صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمد جاءكم فيما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن».

ابن هشام: السيرة النبوية، دار الكتاب العربى، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، جـ٤، ص ٤٥، د. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، دار الجيل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة عشرة، ١٤١١هـ/١٩٩١م، الجزء الأول (الدولة العربية فى الشرق ومصر والمغرب والأندلس ١-١٣٢هـ/٦٢٢-٧٤٩م)، ص ٢٢٧. وقد أورد ابن تغرى بردى «وأسلم معاوية قبل أبيه فى عمرة القضاء، وبقى يخاف من الخروج إلى النبى ﷺ من أبيه».

ابن تغرى بردى: النجوم، جـ١، ص ١٥٣.

(٤) قال ابن هشام عند ذكره الإسراء والمعراج «رواية معاوية: قال ابن اسحاق: وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس: أن معاوية بن أبى سفيان، كان إذا سئل عن مسرى رسول الله ـ ﷺ ـ، قال: كانت رؤيا من الله تعالى صادقة». أنظر:

ابن هشام: السيرة النبوية، ص٥٠، د. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ١، ص ٢٥٧.

(٥) الطبرى: تاريخ الطبرى، مج٢، ص ٣٥٢، د.حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، جـ١، ص ٢٥٧.

(٦) البلاذرى: فتوح البلدان، مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ١١٢.

(٧) حمص: بالكسر ثم السكون، والصاد مهملة: بلد مشهور قديم كبير مسور، وفى طرفة القبلى قلعة حصينة على تل عال كبيرة، وهى بين دمشق وحلب

فى نصف الطريق، يذكر ويؤنث، بناه رجل يقال له حمص بن المهر بن جان بن مكنف، وقيل: حمص بن مكنف العمليقى، وقال أهل الاشتقاق: حمص الجرح يحمص حموصا وانحمص ينحمص انحماصا إذا ذهب ورمه، وهى فى الإقليم الرابع، قال أهل السير: حمص بناها اليونانيون، وبحمص من المزارات والمشاهد مشهد على بن أبى طالب، رضى الله عنه، وبها دار خالد بن الوليد، وقبره فيما يقال، وبعضهم يقول إنه مات بالمدينة ودفن بها وهو الأصح، وعند قبر خالد قبر عياض بن غنم القرشى، الذى فتح بلاد الجزيرة. ياقوت الحموى (شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى) ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م، مج٢، ص ص ٣٠٢-٣٠٣.

(٨) البلاذرى: فتوح البلدان، ص ١٣٣.

(٩) البلاذرى: فتوح البلدان، ص ١١٨.

قال البلاذرى «وحدثنى أبو حفص الدمشقى، عن سعيد بن عبد العزيز التنوخى عن عدة منهم أبو بشر مؤذن مسجد دمشق أن المسلمين لما قدموا الشام كان كل أمير منهم يقصد لناحية ليغزوها ويبث غاراته فيها فكان عمرو بن العاص يقصد لفلسطين، وكان شرحبيل يقصد الأردن، وكان يزيد بن أبى سفيان يقصد لأرض دمشق، وكانوا إذا اجتمع لهم العدو اجتمعوا عليه وإذا احتاج أحدهم إلى معاضدة صاحبه وإنجاده سارع إلى ذلك، وكان أميرهم عند الاجتماع فى حربهم أول أيام أبى بكر رضى الله عنه عمرو بن العاص حتى قدم خالد بن الوليد الشام فكان أمير المسلمين فى كل حرب، ثم ولى أبو عبيدة بن الجراح أمر الشام كله، وأمره الأمراء فى الحرب والسلم من قبل عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وذلك أنه لما استخلف كتب إلى خالد بعزله وولى أبا عبيدة».

البلاذرى:-فتوح البلدان، ص ١١٩.

(١٠) البلاذرى: فتوح البلدان، ص ص ١١٩ - ١٢٠.

(١١) صيداء: بالفتح ثم السكون، والدال المهملة، والمد، وأهله يقصرونه، وما أظنه إلا لفظ أعجمية إلا أن أصلها فى كلام العرب على سبيل الاشتراك، قال أبو منصور: الصيداء حجر أبيض يعمل منه البرام جمع برمة، وقال النضر: الصيداء الأرض التى تربتها أجزاء غليظة الحجارة مستوية الأرض، وهى مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال دمشق شرقى صور بينها ستة فراسخ، قالوا سميت بصيدون بن صدقاء بن كنعان بن حام بن نوح، عليه السلام، قال هشام عن أبيه: إنما سميت صيداء التى بالشام بصيدون بن صدقاء بن كنعان بن حام بن نوح، عليه السلام، ومر أبو الحسن على بن محمد بن الساعاتى بنواحى صيداء وهى بيد الأفرنج فرأى مروجًا كثيرة نباتها النرجس، وهى فى الإقليم الرابع قال الزجاجى: اشتقاقها من الصيد، والنسبة إليها صيداوى، ومن أسمائها إربل بلفظ إربل الموصل، وذكر السمعانى أنه ينسب إليها صيدانى، بالنون، وممن نسب إليها كذلك أبو الحسن محمد بن أحمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن جميع الغسانى الحافظ الصيدانى، رحل فى طلب الحديث إلى مصر والعراق والجزيرة وفارس.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٣، ص ص ٤٣٧-٤٣٨.

(١٢) عرقة: بكسر أوله، وسكون ثانية، وهو مؤنث المذكور آنفًا: بلدة فى شرقى طرابلس بينهما أربعة فراسخ، وهى آخر عمل دمشق، وهى فى سفح جبل، بينها وبين البحر نحو ميل، وعلى جبلها قلعة لها، ينسب إليها عروة بن مروان العرقى، وإلى عرقة ينسب أبو الحسن أحمد بن حمزة بن أحمد التنوخى العرقى، طولها إحدى وستون درجة وخمس عشرة دقيقة، وعرضها ست وثلاثون درجة وست عشرة دقيقة فى آخر الإقليم الرابع وأول الخامس.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٤، ص١٠٩.

(١٣) الجبيل: تصغير جبل، وجبيل: بلد فى سواحل دمشق فى الإقليم الرابع، طوله ستون درجة، وعرضه أربع وثلاثون درجة، وهو بلد مشهور فى شرقى بيروت على ثمانية فراسخ من بيروت من فتوح يزيد بن أبى سفيان، ولم تزل بأيدى الفرنج إلى أن فتحها صلاح الدين يوسف بن أيوب فيما فتحه من الساحل، ورتب فيها قوما من الأكراد لحفظها، ينسب إليها جماعة منهم: أبو سعيد الجبيلى، وعبيد بن حيان الجبيلى، وزيد بن القاسم السلمى الجبيلى، وأبو قدامة الجبيلى، وأبو سليمان إسماعيل بن خضر بن حسان الجبيلى.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ص ص ١٠٩-١١٠.

(١٤) بيروت: بالفتح ثم السكون، وضم الراء، وسكون الواو، والتاء فوقها نقطتان: مدينة مشهورة على ساحل بحر الشام تعد من أعمال دمشق، بينها وبين صيداء ثلاثة فراسخ، وهى فى الإقليم الرابع، وقد خرج منها خلق كثير من أهل العلم والرواية منهم: الوليد بن مزيد العذرى البيروتى، وابنه أبو الفضل العباس بن الوليد بن مزيد البيروتى، ومحمد بن عبد الله بن عبد السلام بن أبى أيوب أبو عبد الرحمن البيروتى المعروف بمكحول الحافظ.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج١، ص ص ٥٢٥-٥٢٦.

(١٥) البلاذرى: فتوح البلدان، ص ١٢٩.

(١٦) الطبرى: تاريخ الطبرى، مج٢، ص ٥٨٧.

(١٧) البلاذرى: فتوح، ص ١٤٢.

قال البلاذرى فيما يتعلق بقيسارية وموت يزيد «قالوا: وكان موت يزيد بن أبى سفيان فى آخر سنة ثمان عشرة بدمشق فمن قال: أن معاوية فتح قيسارية فى حياة أخيه قال: إنما فتحت فى آخر سنة ثمان عشرة ومن قال: إنه فتحها فى ولايته الشام قال. فتحت فى سنة تسع عشرة وذلك الثبت. وقال بعض الرواة أنها فتحت فى أول سنة عشرين».

البلاذرى: فتوح، ص ١٤٤.

(١٨) البلاذرى: فتوح، ص ١٤٢.

(١٩) البلاذرى: فتوح، ص ١٢٩.

(٢٠) البلاذرى: فتوح، ص ١٧٨، د. عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسى للدولة العربية (عصر الخلفاء الأمويين)، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٦م، ص ص ١٧-١٨.

(٢١) ياقوت الحموى: معجم، مج٣، ص ص ٣٦٢-٣٦٣.

(٢٢) البلاذرى: فتوح، ص ص ١٨٣-١٨٤.

(٢٣) د. محمد عبد الهادى شعيرة: من تاريخ التحصينات العربية فى القرنين الأول والثانى للهجرة (دراسات فى الآثار الإسلامية)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ص ١١-١٤، د.عبد الله كامل موسى عبده: دراسات فى الحضارة والآثار الإسلامية فى ليبيا، دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ص ٨٣.

(٢٤) أنطاكية: بالفتح ثم السكون، والياء مخففة، وكانت العرب إذا أعجبها شىء نسبته إلى أنطاكية، ولم تزل أنطاكية قصبة العواصم من الثغور الشامية، وهى من أعيان البلاد وأمهاتها، موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير، وهى بلد عظيم ذو سور وفصيل، ولسوره ثلثمائة وستون برجًا، وشكل البلد كنصف دائرة قطرها يتصل بجبل، والسور يصعد مع الجبل، وفى رأس الجبل داخل السور قلعة.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج١، ص ص ٢٦٦-٢٦٧.

(٢٥) اللاذقية: مدينة فى ساحل بحر الشام تعد فى أعمال حمص، وهى غربى جبلة، وهى الآن من أعمال حلب، وهى مدينة رومانية قديمة فيها أبنية قديمة، وهو بلد حسن فى وطاء من الأرض وله مرفأ جيد

محكم وقلعتان متصلتان على تل مشرف على الربض والبحر على غربيها وهى على ضفته.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٥، ص ص ٥-٦.

(٢٦) طرابلس: بفتح أوله وبعد الألف باء موحدة مضمومة، ولام أيضًا مضمومة وسين مهملة، ويقال طرابلس وهى مدينة طرابلس الغرب، أما طرابلس الشام التى نحن بصددها فهى فى الإقليم الرابع، طولها ستون درجة وخمس وثلاثون دقيقة، وعرضها أربع وثلاثون درجة.

ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص ص ٢٥-٢٦.

مزيد من التفاصيل عن طرابلس الشام فى العصر الأموى أنظر: د. السيد عبد العزيز سالم: طرابلس الشام فى التاريخ الإسلامى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٦٦م، ص ص ٣٧-٤٢.

(٢٧) بلدة: ذكرها ياقوت من مدن ساحل بحر الشام قريبة من جبلة، من فتوح عبادة بن الصامت، ثم خربت وجلا أهلها فأنشأ معاوية جبلة، وكانت حصنا للروم.

ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص ٤٨٣.

(٢٨) أنطرطوس: بلد من سواحل بحر الشام، وهى آخر أعمال دمشق، من البلاد الساحلية، وأول أعمال حمص، وقال أبو القاسم الدمشقى: من أعمال طرابلس مطلة على البحر فى شرقى عرقة، ولها برجان حصينان كالقلعتين، فتحها عبادة بن الصامت بعد فتح اللاذقية وجبلة، وكانت حصنا، ثم جلا عنه أهله فبنى معاوية انطرطوس وحصنها، واقطع المقاتلة بها القطائع، وكذلك فعل بمرقية وبلنياس، وينسب إليها عمرو بن داود بن سلمون بن داود أبو حفص الأنطرطوسى.

ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص ٢٧٠.

(٢٩) مرقية: بفتح أوله وثانيه، وكسر القاف، والياء مشددة: قلعة حصينة فى سواحل حمص كانت خربت فجددها معاوية ورتب فيها الجند واقطعهم القطائع، ينسب إليها إبراهيم بن هبة الله بن إبراهيم أبو إسحاق القرشى الطرابلسى المرقانى الذى قدم دمشق وحدث بها عن أبى جعفر أحمد بن كليب الطرطوسى.

ياقوت الحموى: معجم، مج٥، ص ١٠٩.

(٣٠) بلنياس: بضمتين وسكون النون وياء وألف، وسين مهملة: كورة ومدينة صغيرة وحصن بسواحل حمص على البحر.

ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص ٤٨٩.

(٣١) عكا: ذكرها ياقوت عكة بفتح أوله وتشديد ثانيه، العكة الرملة حميت عليها الشمس، وقيل العكة من الحر الفورة الشديدة فى القيظ، وهى بلد على ساحل بحر الشام من عمل الأردن، وهى من أحسن بلاد الساحل فى أيامنا هذه وأعمرها، وهى حصينة كبيرة الجامع فيه غابة زيتون يقوم بسرجة وزيادة، ولم تكن على هذه الحصانة حتى قدمها ابن طولون.

ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص ص ١٤٣-١٤٤.

(٣٢) صور: بضم أوله وسكون ثانيه وآخره راء مدينة مشهورة سكنها خلق من الزهاد والعلماء، وكان من أهلها جماعة الأئمة، كانت من ثغور المسلمين، وهى مشرفة على بحر الشام داخله فى البحر، وهى حصينة جديدة.

ياقوت الحموى: معجم، مج٣، ص ٤٣٣.

(٣٣) جبلة: قال ياقوت جبلة أيضًا قلعة مشهورة بساحل الشام من أعمال حلب قرب اللاذقية أنشأها معاوية وكانت حصنا للروم جلوا عنه عند فتح المسلمين حمص، وشحنها بالرجال، وبنى معاوية بجبلة حصنا خارجا من الحصن الرومى القديم.

ياقوت: معجم البلدان، مج٢، ص ١٠٥.

(٣٤) عسقلان: بفتح أوله وسكون ثانيه ثم قاف وآخره نون وهو اسم أعجمى فيما علمت، وقد ذكر بعضهم أن العسقلان أعلى الرأس، فإن كانت عربية فمعناه أنها فى أعلى الشام، وهى مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين، ويقال لها عروس الشام، وكذلك يقال لدمشق أيضا، وقد نزلها جماعة من الصحابة والتابعين، وحدث بها خلق كثير، ولم تزل عامرة حتى استولى عليها الإفرنج.

ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص ١٢٢.

(٣٥) البلاذرى: فتوح البلدان، ص ١٢٩.

(٣٦) د. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ١، ص ٢٢٧.

محمد بن أحمد كنعان: تاريخ الخلافة الراشدة (خلاصة: تاريخ ابن كثير) مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص ص ٤٠٦-٤١١.

(٣٧) د. عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسى للدولة العربية، ص ص ١٨-١٩.

(٣٨) وكانت خلافة الحسن على قول من يقول: إنه سلم الأمر فى ربيع الأول، خمسة أشهر ونحو نصف شهر، وعلى قول من يقول: فى ربيع الآخر، يكون ستة أشهر وشيئًا، وعلى قول من يقول: فى جمادى الأولى، يكون سبعة أشهر وشيئًا، والله تعالى أعلم».

ابن الأثير: الكامل، جـ٣، ص ٧.

(٣٩) قال ابن الأثير «ولحق الحسن بالمدينة وأهل بيته وحشمهم».

انظر: ابن الأثير: الكامل، جـ٣، ص ص ٧-٨.

(٤٠) الطبرى: تاريخ الطبرى، مج٣، ص ١٦٧.

(٤١) د. محمد حسين محاسنة: تاريخ مدينة دمشق خلال الحكم الفاطمى، نشر الأوائل، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ص ص ٣٣-٣٥.

انعكس موقع مدينة دمشق بشكل واضح على مناخها، فوجود الجبال فى غربها سواء كانت جبال لبنان الشرقية القريبة منها أم جبال لبنان الغربية شكلت حاجزاً مزدوجا منع وصول التأثيرات البحرية إلى المدينة على الرغم من أنها لا تبعد أكثر من ٨٠كم عن البحر المتوسط، ومن جهة أخرى فإن موقع دمشق المفتوح باتجاه الشرق جعلها تشارك بادية الشام فى جفافها فيتصف صيفها بالجفاف التام، وتتأثر الحرارة بعدة عوامل أهمها الموقع الفلكى للمدينة حيث تقع دمشق على خط ٣٠ شرقًا و ٣٣ شمالا، والارتفاع عن سطح البحر الذى يصل إلى ٧٠٠م تقريبا، ويبلغ متوسط الحرارة السنوى فى دمشق ١٨°م، إلا أن هذا المعدل السنوى لا يعطى صورة واضحة بسبب تعرضه للتفاوت الكبير نتيجة عدم وصول التأثيرات البحرية إلى المنطقة، فترتفع درجة الحرارة صيفًا حتى تصل إلى أكثر من ٣٨°م، وتنخفض فى فصل الشتاء ليصل متوسطها فى كانون الثانى إلى ٧°م، وتحتل الأمطار مكانة هامة بين عناصر المناخ.

مزيد من التفاصيل انظر: د.محمد حسين: تاريخ مدينة دمشق، ص ص ٣٦-٣٧، غو ستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م، ص ص ١٥٠-١٧٠.

(٤٢) د. محمد حسين: تاريخ مدينة دمشق، ص ص ٣٦-٣٧.

(٤٣) د. محمد حسين: تاريخ مدينة دمشق، ص ٣٧.

(٤٤) د. محمد حسين: تاريخ مدينة دمشق، ص ص ٤١-٤٢.

(٤٥) د. محمد حسين: تاريخ مدينة دمشق، ص ٤٢.

(٤٦) د. محمد حسين: تاريخ مدينة دمشق، ص ٤٣.

(٤٧) د. محمد حسين: تاريخ مدينة دمشق، ص٤٤.

(٤٨) د. محمد حسين: تاريخ مدينة دمشق، ص ٥٤.

انظر عن دمشق وأبوابها: زين الدين بن زين التقاة (محمد بن عيسى بن كنان الصالحى الدمشقى الحنبلى) ت ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م: المواكب الإسلامية فى الممالك الشامية، تحقيق أيمن عبد الجابر البحيرى، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص ص ٢٧-٣٠.

(٤٩) ابن جبير (أبى الحسن محمد بن أحمد): رسالة اعتبار الناسك فى ذكر الآثار الكريمة والمناسك المعروفة بـ رحلة ابن جبير، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م، ص ٢١٢.

(٥٠) البلاذرى: فتوح، ص ١٢٧.

(٥١) د. سارة حسن منيمنة: مورفولوجية مدينة دمشق، مجلة الفكر العربى (مسألة المدينة والمدينة العربيا) تشرين الأول (أكتوبر) ـ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٨٢م، العدد التاسع والعشرون، السنة الرابعة، ص ٢٣٩.

د. محمد حسين: تاريخ مدينة دمشق، ص ص ٥٤-٥٥.

(٥٢) اليعقوبى (أحمد بن أبى يعقوب بن واضح الكاتب) ت ٢٨٤هـ: كتاب البلدان، (السلسلة الجغرافية ٦)، دار إحياء التراث العربى، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ص ٨٧.

(٥٣) اليعقوبى: البلدان، ص ص ٨٧-٨٨.

(٥٤) البلاذرى: فتوح، ص ص ١٣٠-١٣١، انظر أيضًا: طه الولى: المدينة فى الإسلام، مجلة الفكر العربى (مسألة المدينة والمدينة العربيا)، معهد الإنماء العربى، بيروت لبنان، تشرين الأول (أكتوبر) ـ تشرين الثانى (نوفمبر)، ١٩٨٢م، العدد التاسع والعشرون، السنة الرابعة، ص ص ١٢٢-١٢٣. أورد البلاذرى «فلما كان سنة اثنتين وثلاثين أغانوا الروم على الغزاة فى

البحر بمراكب أعطوهم إياها فغزاهم معاوية سنة ثلاث وثلاثين فى خمسمائة مركب ففتح قبرس عنوة. . وبعث إليها باثنى عشر ألفا كلهم أهل ديوان فبنوا بها المساجد، ونقل اليها جماعة من بعلبك وبنى بها مدينة وأقاموا يعطون الأعطية إلى أن توفى معاوية وولى بعده ابنه يزيد فأقفل ذلك البعث وأمر بهدم المدينة وبعض الرواة يزعم أن غزوة معاوية الثانية قبرس فى سنة خمس وثلاثين».

البلاذرى: فتوح، ص ١٥٤.

(٥٥) البلاذرى: فتوح، ص ١٢٠.

(٥٦) ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص ١٤٤.

(٥٧) البلاذرى: فتوح، ص ص ١٢٠-١٢١.

انظر أيضًا عن مراكز صناعة السفن وتطور الصناعة: د. صفى على محمد عبد الله: مدن مصر الصناعية فى العصر الإسلامى إلى نهاية عصر الفاطميين (تاريخ المصريين ١٦٩) الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م، ص ١٦٧.

(٥٨) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٤، ص ١٤٤.

(٥٩) البلاذرى: فتوح، ص ١٣٥.

(٦٠) البلاذرى: فتوح، ص ١٣٥.

(٦١) ياقوت الحموى: معجم، مج٢، ص ١٠٥.

(٦٢) البلاذرى: فتوح، ص ١٨٨.

مرعش: بالفتح ثم السكون، والعين مهملة مفتوحة، وشين معجمة: مدينة فى الثغور بين الشام وبلاد الروم لها سوران وخندق وفى وسطها حصن عليه سور يعرف بالمروانى بناه مروان بن محمد، ثم أحدث الرشيد بعده سائر المدينة، وبها ربض يعرف بالهارونية، وهو مما يلى باب الحدث.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٥، ص ١٠٧.

(٦٣) قنسرين: بكسر أوله، وفتح ثانيه وتشديده وقد كسره قوم ثم سين مهملة، قال بطليموس: مدينة قنسرين طولها تسع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة، وعرضها خمس وثلاثون درجة وعشرون دقيقة، فى الإقليم الرابع، وفى جبلها مشهد يقال إنه قبر صالح النبى، عليه السلام، والصحيح أن قبره باليمن بشبوة، وقيل بمكة، وكان فتح قنسرين على يد أبى عبيدة بن الجراح، وينسب إلى قنسرين جماعة، أثبتهم فى الحديث الحافظ أبو بكر محمد بن بركة بن الحكم بن إبراهيم بن الفرداج الحميرى اليحصبى القنسرينى المعروف ببرد داعس.

ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص ص ٤٠٣-٤٠٤.

(٦٤) منبج: بالفتح ثم السكون، وباء موحدة مكسورة، وجيم: وهو بلد قديم وما أظنه إلا روميًا إلا أن اشتقاقه فى العربية يجوز أن يكون من أشياء، يقال: نبج الرجل ينبج إذا قعد فى النبجة وهى الأكمة، والموضع منبج، ويجوز أن يكون قياسًا صحيحا، ويجوز أن يكون من النبيج وهو طعام كانت العرب تتخذه فى المجاعة، ويجوز أن يكون من النبج وهو الضراط، وهى فى الإقليم الرابع، مدينة كبيرة واسعة ذات خيرات كثيرة وأرزاق واسعة فى فضاء من الأرض، كان عليها سور مبنى بالحجارة محكم، بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ، وبينها وبين حلب عشرة فراسخ، وشربهم من قنى تسيح على وجه الأرض، وفى دورهم آبار أكثر شربهم منها لأنها عذبة صحيحية، ومنها البحترى، وقد خرج منها جماعة من الشعراء، وقال ابن قتيبة فى أدب الكتاب: كساء منبجانى ولا يقال أنبجانى لأنه منسوب إلى منبج، وينسب إلى منبج جماعة، منهم: عمر بن سعيد بن أحمد بن سنان أبو بكر الطائى المنبجى، وأبو القاسم عبدان بن حميد بن رشيد الطائى المنبجى، وأبو العباس عبد الله بن عبد الملك بن الإصبع المنبجى وغيرهم.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٥، ص ص ٢٠٥-٢٠٧.

(٦٥) سميساط: بضم أوله، وفتح ثانيه ثم ياء مثناة من تحت ساكنة، وسين أخرى ثم بعد الألف طاء مهملة: مدينة على شاطئ الفرات فى طرف بلاد الروم على غربى الفرات ولها قلعة فى شق منها يسكنها الأرمن، وهى فى الإقليم الرابع، وإليها ينسب أبو القاسم على بن محمد السميساطى السلمى المعروف بالجميش.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٣، ص ٢٥٨.

(٦٦) ملطية: بفتح أوله وثانيه، وسكون الطاء، وتخفيف الياء، والعامة تقول بتشديد الياء وكسر الطاء، بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام، وهى فى الإقليم الخامس، وينسب إلى ملطية من الرواة محمد بن على بن أحمد بن أبى فروة أبو الحسين الملطى المقرئى، وسليمان بن أحمد بن يحيى بن سليمان بن أبى صلابة أبو أيوب الملطى الحافظ.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٥، ص ص ١٩٢-١٩٣.

(٦٧) شمشاط: بكسر أوله، وسكون ثانيه، وشين مثل الأولى، وآخره طاء مهملة، مدينة بالروم على شاطئ الفرات شرقيها بالوية وغربيها خرتبرت، وهى فى الإقليم الخامس، قيل سميت بشمشاط بن اليفز بن سام بن نوح، عليه السلام، لأنه أول من أحدثها، وقد نسب إليها قوم من أهل العلم، منهم أبو الحسن على بن محمد الشمشاطى، كان شاعرا وله تصانيف فى الأدب.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٣، ص ص ٣٦٢-٣٦٣.

(٦٨) كمخ: بالفتح ثم السكون: مدينة بالروم، وقيل هى كماخ، بالألف.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٤، ص ٤٧٩.

(٦٩) قاليقلا: بأرمينية العظمى من نواحى خلاط ثم من نواحى منازجرد من نواحى أرمينية الرابعة، ويشبه أن تكون فى الإقليم الخامس، وتعمل بها البسط المسماه بالقالى اختصروا فى النسبة إلى بعض اسمه لثقله، وإليها ينسب الأديب العالم أبو على إسماعيل بن القاسم القالى.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٤، ص ص ٢٩٩-٣٠٠.

(٧٠) د. محمد عبد الهادى: من تاريخ التحصينات العربية، ص ٢٢.

(٧١) الحدث: بالتحريك، وآخره ثاء مثلثة، قلعة حصينة بين ملطية وسميساط ومرعش من الثغور، ويقال له الحمراء لأن تربتها جميعًا حمراء، وقلعتها على جبل يقال له الأحيدب، وكان الحسن بن قعطبة قد غزا الثغور، وفى كتاب أحمد بن يحيى بن جابر، فتحه حبيب بن مسلمة الفهرى من قبل عياض بن غنم، وكان معاوية يتعاهده بعد ذلك، وكانت بنو أمية يسمون درب الحدث درب السلامة للطيرة، لأن المسلمين أصيبوا به، وكان ذلك الحدث الذى سمى به الحدث فيما يقول بعضهم، وقال آخرون لقى المسلمين على درب الحدث غلام حدث فقاتلهم فى أصحابه قتالا استظهر فيه، فسمى الحدث بذلك الحدث، وينسب إلى الحدث عمر بن زرارة الحدثى، وعلى بن الحسن الحدثى، وأبو الوليد أحمد بن جناب الحدثى.
ياقوت الحموى: معجم، مج٢، ص ص ٢٢٧-٢٢٩.

أورد ابن تغرى بردى فى احداث ٥٠هـ «وفيها أراد معاوية نقل منبر النبى ﷺ من المدينة وأن يحمل إلى الشام.. فطلب العصا وهى عند سعد القرظ وحرك المنبر فكسفت الشمس حتى رئيت النجوم بادية فأعظم الناس ذلك فتركه وقيل: بل أتاه جابر وأبو هريرة فقالا له: يا أمير المؤمنين لا يصلح أن يخرج منبر النبى ﷺ من موضع وضعه وتنقل عصاه إلى الشام، فانقل المسجد فتركه معاوية وزاد فيه ست درجات واعتذر مما صنع. ابن تغرى بردى (جمال الدين أبى المحاسن يوسف) ت ٨٧٤هـ/١٤٤٣م: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة (طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب)، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة.

(٧٢) محمد عبد الهادى: من تاريخ، ص ٢٢.

(٧٣) الطبرى: تاريخ، جـ ٣، ص ٢٦٤.

(٧٤) الطبرى: تاريخ، جـ ٣، ص ٢٦٤.

(٧٥) الطبرى: تاريخ، جـ ٣، ص ٢٦٤.

(٧٦) ابن الأثير: الكامل، جـ ٣، ص ١٢٥.

(٧٧) ابن الأثير: الكامل، جـ ٣، ص ١٢٧.

(٧٨) ابن الأثير: الكامل، جـ٣، ص ١٢٧.

(٧٩) ابن الأثير: الكامل، جـ٣، ص ٤٣.

أورد ابن تغرى بردى فى أحداث السنة الثانية من ولاية عتبة بن أبى سفيان على مصر وهى سنة أربع وأربعين «وفيها زاد معاوية فى مقصورة جامع دمشق، وكان قد أحدثها لما وثب عليها البزك ليقتله. ثم أحدث فى هذه السنة أيضًا مروان بن الحكم مقصورة المدينة وهو وال عليها».

ابن تغرى بردى: النجوم، جـ١، ص ١٢٥.

(٨٠) ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، جـ٥ مادة قصر، ص ص ٣٦٤٦ - ٣٦٤٧.

(٨١) يذكر د. حسين مؤنس أن المقاصير عرفت قبل العصر الإسلامى فى جميع المنشآت الدينية السابقة على الإسلام ـ وثنية كانت أو مسيحية أو غير ذلك لصلاة الخواص أو العباد والزهاد والمعتكفين.

مزيد من التفاصيل أنظر:

د. حسين مؤنس: المساجد، ١٩٩٤م، ص ص ١٤٨-١٤٩.

(٨٢) تناول الدكتور محمد محمد الكحلاوى فى دراسة هامة مقاصير الصلاة فى العصر الإسلامى وذكر فيما يتعلق بالمقاصير العلمية أنها وجدت فى المدارس اليمنية، حيث أنشأ الإمام المتوكل على الله شرف الدين سبع مدارس وبنى فى كل مدرسة مسجداً للصلاة ومقصورة فى مؤخرة المسجد للعلماء والذين يتلقون العلوم من الطلاب، كما ذكر فيما يتعلق بمقاصير الخزائن أن من أشهرها فى المغرب تلك المقصورة التى أنشأها الفقيه أبو القاسم عبد الرحمن

بن أحمد فى عام ٥٩٨هـ/ ١٢٠١م بمسجد القرويين بفاس ٢٤٢هـ/ ٨٥٧م، كذلك ذكر فيما يتعلق بمقاصير الفقراء المقصورة التى أنشأها السلطان الناصر محمد بن قلاوون بمسجد القلعة، وفيما يتعلق بمقاصير الصوفية ذكر المقصورة التى أنشأها السلطان الناصر محمد بن قلاوون بمسجده بالقلعة.

مزيد من التفاصيل أنظر: د. محمد محمد الكحلاوى: مقاصير الصلاة فى العصر الإسلامى «دراسة أثرية معمارية»، مجلة كلية الآثار، جامعة القاهرة، العدد الثالث، ١٩٨٩م، ص ص ٢٠٧-٢٠٨.

(٨٣) مزيد من التفاصيل أنظر: د. محمد محمد الكحلاوى: مقاصير الصلاة، ص ص ٢٠٨-٢٠٩.

(٨٤) السمهودى: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، مطبعة الآداب والمؤيد بمصر، ١٣٢٦هـ، جـ١، ص ص ٣٣٢، ٣٦٢.

(٨٥) ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، مطبعة مؤسسة الأعليمى، بيروت، جـ١ المقدمة، ص ١٨٨، المقريزى: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م، جـ٢، ص ٢٥٠.

(٨٦) البلاذرى: فتوح البلدان، تحقيق د. صلاح منجد، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٥٦م، ق٢، ص ٢٤٧.

(٨٧) السمهودى: وفاء ، جـ١، ص ٣٦٢، د. محمد محمد الكحلاوى: مقاصير الصلاة، ص ص ٢٠٩-٢١٠.

(٨٨) د. محمد محمد الكحلاوى: مقاصير الصلاة، ص ٢١٠.

(٨٩) المقريزى: المواعظ والاعتبار، جـ٢، ص ٢٥١.، د. محمد محمد الكحلاوى: مقاصير الصلاة، ص ص ٢١٠-٢١١.

(٩٠) ابن الأثير: الكامل، جـ٣، ص ١٢٧.

(٩١) الطبرى: تاريخ الطبرى، جـ٣، ص ٢٦٩.

قال الطبرى «للنصف من رجب فى قول بعضهم، وفى قول بعض: لثمان بقين منه».

الطبرى: تاريخ الطبرى، مج٣، ص٢٦٩.

(٩٢) الطبرى: تاريخ الطبرى، مج٣، ص ٢٦٩.، د. عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسى، ص ٦٦.، د. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ١، ص ٢٣٤.

(٩٣) الطبرى: تاريخ الطبرى، مج٣، ص ٤٠٣.

(٩٤) ابن الأثير: الكامل، جـ٣، ص٢٢٢.

(٩٥) ابن الأثير: الكامل، جـ٣، ص٢٢٢.

(٩٦) ابن الأثير: الكامل، جـ٣، ص ٢٢٢.

(٩٧) د. عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسى، ص ص ٨٩-٩٠.، د. أحمد رجب محمد على: المسجد الحرام بمكة المكرمة ورسومه فى الفن الإسلامى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص ص ٣٦-٤٠.

(٩٨) الطبرى: تاريخ الطبرى، مج٣، ص ص ٤٠٦-٤٠٧.

(٩٩) ابن الأثير: الكامل، جـ٣، ص٢٢٢.

(١٠٠) د. عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسى، ص ٩١.

(١٠١) ابن الأثير: الكامل، جـ٣، ص ٢٢٥.

(١٠٢) د. عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسى، ص ص ٩٢-٩٧.

(١٠٣) د. عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسى، ص ص ٩٧- ٩٩.

(١٠٤) ابن الأثير: الكامل، جـ٣، ص ص ٢٣٧، ٢٧٥.

(١٠٥) ابن الأثير: الكامل، جـ٣، ص ٤٣.

(١٠٦) ابن الأثير: الكامل، جـ٣، ص ٢٤٥.

(١٠٧) ابن عبد الحكم (أبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين القرشى المصرى): فتوح مصر وأخبارها (صفحات من تاريخ مصر - ١٠)، مكتبة مدبولى، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ١٠٧.

(١٠٨) ابن الأثير: الكامل، جـ٣، ص ٢٧٣.

(١٠٩) ابن الأثير: الكامل، جـ٣، ص ٢٧٦.

(١١٠) البلاذرى: فتوح، ص ١٢٧.

(١١١) ابن الأثير: الكامل، جـ٣، ص ٤١٢.، د. عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسى، ص ص ١٣٢-١٣٣.

(١١٢) د. عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسى، ص ص ١٣٣.، د. أحمد رجب محمد: المسجد الحرام، ص ص ٤٠-٤٤.

(١١٣) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٤، ص ٣٢.

(١١٤) البلاذرى: فتوح، ص ١٦٥.

المصيصة: بالفتح ثم الكسر، والتشديد، وياء ساكنة، وصاد أخرى، كذا ضبطه الأزهرى وغيره من اللغويين بتشديد الصاد الأولى هذا لفظه، وتفرد الجوهرى وخالد الفرابى بأن قالا المصيصة، بتخفيف الصادين، والأول أصح، وهى فى الإقليم الخامس، وقيل فى الإقليم الرابع، وهى مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس، وكانت من مشهور ثغور الإسلام، قد رابط بها الصالحون قديمًا، وبها بساتين كثيرة يسقيها جيحان، وكانت ذات سور وخمسة أبواب، وهى مسماة باسم الذى عمرها وهو مصيصة بن الروم بن اليمن بن سام بن نوح، قال المهلبى: ومن خصائص الثغر أنه كانت تعمل ببلد المصيصة الفراء تحمل إلى الآفاق.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٥، ص ص ١٤٤-١٤٥.

(١١٥) البلاذرى: فتوح، ص ص ١٤٤ -١٤٥.

(١١٦) البلاذرى: فتوح، ص ١٤٥.

(١١٧) الزركشى: أعلام الساجد بأحكام المساجد، تحقيق أبو الوفا مصطفى المراغى، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢م، ص ٣٨٨.

(١١٨) سورة الإسراء، آية ١.

(١١٩) اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، دارالفكر، بيروت، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م، جـ٢، ص ص ٩٧-١٠١، البلاذرى: فتوح البلدان، القاهرة، ط١، ١٣١٩هـ/١٩٠١م، ص ١٤٥.

(١٢٠) السيوطى (أبى عبد الله محمد بن شهاب الدين أحمد بن على بن عبد الخالق المنهاجى): اتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، تحقيق د. أحمد رمضان أحمد الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م، ق١، ص ص ٢٢٥-٢٤١، عارف باشا العارف: تاريخ القدس، دار المعارف بمصر، ص ص ٤٦-٥٠.

(١٢١) السيوطى: اتحاف الأخصا، ق٢، ص ١٧٩.

(١٢٢) المقدسى: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولى، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص ١٦٨.

(١٢٣) د. أحمد فكرى: مساجد القاهرة، المدخل، دار المعارف بمصر، ص ٢١٢.

(١٢٤) د. زكى محمد حسن: فنون الإسلام، دار الرائد العربى، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ/١٩٨١م، ص ٣٩، د. كمال الدين سامح: العمارة فى صدر الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١م، ص ص ٢٤-٢٥.

(١٢٥) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ١٥٩، كريزويل: الآثار، ص ص ٣٣-٣٤.

(١٢٦) كريزويل: الآثار، ص ص ٣٣-٣٤. ويذكر د. رأفت النبراوى أن هذه القبة شيدت للحفاظ على الصخرة المقدسة التى أسرى إليها النبى المعصوم - من العوامل الجوية المتغيرة، ولكى يجعلها الخليفة عبد الملك بن مروان مزاراً جميلاً يضاهى به الديانات الأخرى الموجودة بالقدس كالكنائس المسيحية

والمعابد اليهودية، وقد روج العباسيون بسبب بناء هذه القبة إشاعات مغرضة تسىء إلى الأمويين فيها إن الأمويين أنشأوا هذه القبة ليصرفوا الناس عن الذهاب إلى الكعبة بمكة المكرمة وقت الحج ويستعيضوا عن ذلك بزيارة قبة الصخرة، وذكروا أن الخليفة عبد الملك علق سور الديباج على جدرانها وجعل لها سدنة، وجعل الناس يطوفون حولها، ولكن كل هذه الافتراءات غير منطقية لأن الخليفة عبد الملك كان يدرك تماما أن من أهم أركان الحج هو الوقوف بعرفة، وأنه شيد هذه القبة سنة ٧٢هـ من أجل المحافظة على الصخرة المقدسة. مزيد من التفاصيل انظر:

د. رأفت النبراوى: عمارة قبة الصخرة بالقدس الشريف، مجلة بريزم، العلاقات الثقافية الخارجية، وزارة الثقافة المصرية، العدد السابع، ٢٠٠١م، ص ص ٢٠-٢٣.

(١٢٧) يذكر كريزويل أن القبة الحالية التى وصفها ريتشموند بوضوح تتألف من قبتين مستقلتين عن بعضهما، ويوجد باب صغير عند القاعدة يؤدى إلى الفراغ بين القبتين، وقد سقطت القبة الأصلية فى عام ٤٠٧هـ/١٠١٦-١٠١٧م. مزيد من التفاصيل انظر: كريزويل: الآثار، ص ص ٤٩-٥٠.

(١٢٨) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ١٦٩.

(١٢٩) كريزويل: الآثار، ص ٤١، د. رأفت النبراوى: عمارة، ص ص ٢٠-٢١.

(١٣٠) كريزويل: الآثار، ص ٣٨.

(١٣١) يذكر كريزويل أن هذا الجزء كان محاطًا على حافته الداخلية بمجموعة من الفسيفساء الزجاجية بخط مستقيم لمسافة ٢٣سم من حافة العقد الخارجية، هذا الخط يحدد اتصال الفسيفساء بالوجه الخارجى للنافذة الأصلية، والغطاء الرخامى للداخل يصل فى فتحة النافذة إلى مسافة ٩٢سم ويتوقف على بعد ١٥سم من خط فسيفساء، والنافذة الأصلية ربما كانت من الرخام مثل نوافذ دمشق بسمك ١٥ سم على الأقل حول الجوانب، وليس بالضرورة النافذة

بكاملها، وهكذا وجد على خارج النافذة جانب قليل سمكه ٢٣سم مغطى بالفسيفساء، وعلى داخل النافذة جانب عمقه أربعة أضعاف الجانب الخارجى ومغطى بالرخام وفتحات الألواح مملوءة بالزجاج.

كريزويل: الآثار، ص ص ٣٧-٣٨.

(١٣٢) د. زكى محمد حسن: فنون، ص ص ٣٩-٤٠، د. ربيع حامد خليفة: زخارف قبة الصخرة، مجلة بريزم، العلاقات الثقافية الخارجية، وزارة الثقافة المصرية ـ العدد السابع، ٢٠٠١م، ص ص ١٦-١٧.

(١٣٣) حسان على حلاق: تعريب النقود والدواوين فى العصر الأموى، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، دار الكتاب المصرى، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م، ص ص ٢٤-٢٥.

(١٣٤) ابن الأثير: الكامل، مج٣، ص ص ٤٥٢-٤٥٣.

(١٣٥) حسان على: تعريب النقود، ص ص ٩٣-٩٥، جرجى زيدان: تاريخ التمدن الإسلامى، مؤسسة دار الهلال، ١٩٦٨م، ص ص ٩١-٩٢.

(١٣٦) الطبرى: تاريخ الطبرى، مج٢، ص ٥٧٠، د. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ١، ص ص ٣٦٢-٣٦٤.

(١٣٧) ابن الأثير: الكامل، مج٣، ص ٥٣٤، د. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، جـ١، ص ص ٣٦٤-٣٦٥.

(١٣٨) الطبرى: تاريخ الطبرى، مج٣، ص ص ٦٦٧-٦٦٩.

(١٣٩) ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص ٥.

(١٤٠) ابن جبير: رحلة، ص ٢١٢.

(١٤١) البلاذرى: فتوح، ص ص ١٢٧-١٢٨.

(١٤٢) ابن تغرى بردى: النجوم، جـ١، ص ٢٢٣.

(١٤٣) اليعقوبى: البلدان، ص ٨٧.

(١٤٤) الاصطخرى (ابن اسحق إبراهيم بن محمد الفارسى المعروف بالكرخى):

المسالك والممالك. تحقيق د. محمد جابر عبد العال الحينى، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، ١٣٨١هـ/ ١٩٩١م، ص ص ٤٥-٤٦.

(١٤٥) المقدسى: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولى، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ص ١٥٦-١٥٨.

(١٤٦) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ١٥٩.

(١٤٧) الإدريسى (أبى عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودى الحسنى): نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، المجلد الأول، ص ص ٣٦٦-٣٦٨.

(١٤٨) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ص ص ٤٦٥-٤٦٧.

(١٤٩) ابن جبير: رحلة، ص ص ٢١١-٢١٢.

(١٥٠) ابن جبير: رحلة، ص ص ٢١٢-٢١٣، د. محمد حسين: تاريخ مدينة دمشق، ص ٧١.

(١٥١) ابن جبير: رحلة، ص٢١٣.

(١٥٢) ابن جبير: رحلة، ص ٢١٣.

(١٥٣) ابن جبير: رحلة، ص ٢١٣. انظر عن هذا المسجد أيضًا: د. قتيبة الشهابى: مشيدات دمشق ذوات الأضرحة وعناصرها الجمالية، وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، دمشق، ١٩٩٥م، ص ص ٥١٩-٥٢١.

(١٥٤) ابن جبير: رحلة، ص ٢١٥.

(١٥٥) ابن جبير: رحلة، ص ص ٢١٥-٢١٦.

(١٥٦) ابن جبير: رحلة، ص ٢١٦.

(١٥٧) ابن جبير: رحلة، ص ٢١٣.

(١٥٨) ابن جبير: رحلة، ص ٢١٣.

(١٥٩) ابن جبير: رحلة، ص ٢١٤.

(١٦٠) د. محمد حسين: تاريخ مدينة دمشق، ص ص ٧١-٧٢.

(١٦١) ابن جبير: رحلة، ص ٢١٧.

(١٦٢) ابن جبير: رحلة، ص ٢١٥.

(١٦٣) Creswell. (K. A.C.): The evolution of the Minaret, Burlington, 1926,p.7.

ذهب المستشرقون فيما عدا Sauvaget وتبعهم فى ذلك العرب المحدثون ان المئذنة الأولى اشتقت من برج الكنيسة السورية.

Creswell: The Evolution,p. 7, Sauvaget (J): La Mosquée Omeyyade De Medine, paris, 1947, p. 126.

(١٦٤) د. فريد شافعى: العمارة العربية فى مصر الإسلامية، عصر الولاة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م، المجلد الأول، ص ص ٦٣٧-٦٣٨.

(١٦٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م، مج٨، ص ٤٢٠، انظر أيضًا: د. عبد المجيد وافى: المآذن فى آفاق المدن الإسلامية، مجلة الفيصل، العدد (١٩١)، جمادى الأول ١٤١٣هـ/ نوفمبر ١٩٩٢م، دار الفيصل الثقافية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص ٧٣.

انظر عن مصطلح الصومعة، Creswell: The Evolution P.I., Abu Seif (D.B.): The Minarets of Cairo, The American University in Cairo Press, 1985, P.11., Bloom (J): Minaret Symbol of Islam, Publish-edby Ox Ford University Press.

(١٦٦) السمهودى: وفاء الوفاء تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، الطبعة الثالثة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، جـ٢، ص ٥٣٠.

(١٦٧) مزيد من التفاصيل انظر: د. عبد الله كامل موسى عبده: تطور المئذنة المصرية بمدينة القاهرة من الفتح العربى وحتى نهاية العصر المملوكى - دراسة معمارية زخرفية مقارنة مع مآذن العالم الإسلامى، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

(١٦٨) يحيى بن الحسين: غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى، تحقيق د. سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتاب العربى، القاهرة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، جـ١، ص ٨٨.

(١٦٩) الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير): تاريخ الطبرى، مج٢، ص ٦١٧.

(١٧٠) عبد الحى الكتانى: نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، بيروت، ص ٧٩.

(١٧١) السمهودى: وفاء الوفا، ص ٥٣٠.

(١٧٢) انظر عن رواية البلاذرى أيضًا.

د. فريد شافعى: العمارة العربية، ص ص ٦٣٧-٦٣٩.

(١٧٣) ابن جبير: رحلة، ص ٢١٧.

(١٧٤) د. محمد حسين: تاريخ مدينة دمشق، ص ص ٧٢-٧٣، على الطنطاوى: الجامع الأموى فى دمشق، دار المنارة، جدة، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ص ٤٤-٤٥.

(١٧٥) د. محمد حسين: تاريخ مدينة دمشق، ص ٧٣، د. كمال الدين سامح: العمارة، ص ٣١.

(١٧٦) د. كمال الدين سامح: العمارة، ص ٣١.

(١٧٧) على الطنطاوى: الجامع الأموى، ص ص ٤٤-٤٦.

(١٧٨) على الطنطاوى: الجامع الأموى، ص ص ٤٤-٤٦.

(١٧٩) محمد مطيع الحافظ: حريق الجامع الأموى وبناؤه ١٣١١-١٣٢٠هـ نصوص ووثائق للقاسمى وواصف وكرد على. والعظمى، دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ص ١٢-١٣.

(١٨٠) محمد مطيع الحافظ: حريق الجامع الأموى، ص ص ١٨-٢٣.

(١٨١) Creswell: Ashort Account, PP.91-93.

(١٨٢) كريزويل: الآثار، ص ١١٦. د. عفيف بهنسي: الشام لمحات آثارية وفنية، دار الرشيد، الجمهورية العراقية، بغداد، ١٩٨٠م، ص ١٤٧.

(١٨٣) كريزويل: الآثار ص. ١١٦.

(١٨٤) كريزويل: الآثار، ص ١١٧.

(١٨٥) كريزويل: الآثار، ص ١١٨.

(١٨٦) كريزويل: الآثار، ص ١١٨.

(١٨٧) كريزويل: الآثار، ص ١١٧.

(١٨٨) كريزويل: الآثار، ص ١١٨.

(١٨٩) Creswell: Ashort Account, PP. 95-96.

(١٩٠) Creswell: Ashort Account, PP. 96-105. ، د. عفيف بهنسي: الشام، ص ١٥١. اطلق على هذا القصر خطأ اسم الخرانة والتسمية الصحيحة هي الحرانة من الحرة.

(١٩١) Creswell: Ashort Account, pp. 118-122.

(١٩٢) Creswell: Ashort Account, pp.121-122.

(١٩٣) Creswell: Ashort Account, pp. 122.

(١٩٤) Creswell: Ashort Account, pp.122-124. انظر أيضًا: ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٤، ص ١٧٧.، د. عفيف بهنسي: الشام، ص ص ١٤٩ - ١٥١.

(١٩٥) ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص ص ١٣-١٤، جعفر بن السيد اسماعيل المدنى البرزنجى: نزهة الناظرين فى تاريخ مسجد سيد الأولين والآخرين، تحقيق أحمد سعيد بن سلم، مكتبة بن سلمة المدينة المنورة، مكتبة الرفاعى، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص ص ٣٨-٤٠.

(١٩٦) د. محمد هزاع الشهرى: عمارة المسجد النبوى منذ إنشائه حتى نهاية العصر المملوكى، دار القاهرة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ص ص ١٠٥-١٠٦.

(١٩٧) د. محمد هزاع: عمارة المسجد النبوى، ص ص ١١٣-١٢٧، د. أحمد رجب محمد على: المسجد النبوى بالمدينة المنورة ورسومه فى الفن الإسلامى، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص ص ٤٩-٥٤، محمد الياس عبد الغنى: المساجد الأثرية فى المدينة النبوية، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ١٩.

(١٩٨) د. محمد هزاع: عمارة المسجد، ص ص ١٢٨-١٤٢.

(١٩٩) د. محمد هزاع: عمارة المسجد، ص ١٤٢.

(٢٠٠) من هذا الفريق المقدسى وابن عساكر وابن تغرى بردى ومجير الدين العليمى، ومن غير المسلمين فوج (Vogue) وبيدكر (Baedeker).

شمس الدين السيوطى: إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، القسم الثانى، ص ص ١٧٩-١٨٠.

(٢٠١) من هذا الفريق ابن البطريق، وابن الفقيه، وكريزويل، وقد اعتمد كريزويل فى قوله هذا على ما عثر عليه من وثائق مكتوبة على ورق البردى، حيث جاء فيها أن والى مصر قرة بن شريك أرسل بنائين وعمال مهرة فى المعاونة فى بناء المسجد الأقصى لمدة اثنى عشر شهرًا، وذلك سنة ٩٧هـ/ ٧١٥-٧١٦م.

شمس الدين السيوطى: اتحاف الأخصا، ق٢، ص ١٨٠.

(٢٠٢) شمس الدين السيوطى: اتحاف، ق٢، ص ١٨٠.

(٢٠٣) السيوطى: اتحاف، ق ٢، ص ١٨٠.

(٢٠٤) الرازى (أحمد بن عبد الله بن محمد) ت ٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م: تاريخ

مدينة صنعاء، تحقيق د. حسين بن عبد الله العمرى، دار الفكر المعاصر بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ص ١٢٧-١٣٣، د. مصطفى عبد الله شيحة: مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية فى الجمهورية اليمنية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م، ص ص ٢٩-٣٠.

Creswell: Asbort Account of Early Muslim Architecture, The American University in Cairo Press, 1989, p.83.

(٢٠٥) الرازى: تاريخ مدينة صنعاء، ص ص ١٣٥-١٣٧.

(٢٠٦) ابن تغرى بردى: النجوم، جـ١، ص ٢٣٤.

(٢٠٧) ابن تغرى بردى: النجوم، جـ١، ص ٢٣٤، د. أحمد عبد الرازق أحمد: الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى (العلوم العقلية)، دار الفكر العربى، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ١٧٠.

(٢٠٨) ابن الاثير: الكامل، جـ٤، ص ١٥.

يعد الوليد بن على الملك أول من نقل أساطين الرخام (أعمدة الرخام) إلى المسجد الحرام، وعمله بطاق واحد (صف واحد) بأساطين الرخام، وسقفه بالساج المزخرف، وجعل على رؤوس الأساطين صفائح الذهب، وآذر المسجد بالرخام من داخله، وجعل فى وجه الطيقان وفى أعلاها الفسيفساء، كما قام باستبدال ميزاب آخر من الذهب بميزاب الكعبة، وأهدى إلى الكعبة هلالين وسريراً من ذهب.

د. أحمد رجب: المسجد الحرام، ص ٤٥.

(٢٠٩)ابن تغرى بردى: النجوم، جـ١، ص ٢٣٤.

(٢١٠) البلاذرى: فتوح، ص ١٤٩.

(٢١١) بغراس: مدينة فى لحف جبل اللكام، بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج١، ص ٤٦٧.

(٢١٢) عين السلور: بفتح السين المهملة وتشديد اللام وفتحها، ويقال لبحيرتها بحيرة بغرا، وهى قرب أنطاكية وإنما سميت عين السلور لكثرة هذا النوع الذى بها من السمك.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٤، ص ١٧٨.

(٢١٣) اسكندرونة: بعد الدال راء، وواو ساكنة، ونون، هى مدينة فى شرقى أنطاكية على ساحل بحر الشام بينها وبين بغراس أربعة فراسخ.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج١، ص ١٨٢.

(٢١٤) د. محمد عبد الهادى: من تاريخ، ص ٢٣.

(٢١٥) البلاذرى: فتوح، ص ص ١٨٨-١٨٩.

(٢١٦) ابن تغرى بردى: النجوم، جـ١، ص ٢٢٦.

(٢١٧) د. زكى محمد حسن: فنون الإسلام، ص ٤٤، د. حسن الباشا: مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ص ٢١١-٢١٤، د. كمال الدين سامح: العمارة، ص ص ٣٢-٣٨.

(٢١٨) يذكر كريزويل أن قصير عمرة يتألف من عنصرين رئيسيين: قاعة الاستقبال المستطيلة التى يبلغ طولها ٨,٥٠م، وعرضها ٧,٥٠م تقريبًا، والإيوان الذى يفتح نحو الجنوب على جانبيه غرفتان بنيت على شكل الأقبية بدون نوافذ، أما العنصر الثانى فيتمثل فى الحمام، مزيد من التفاصيل انظر: كريزويل: الآثار، ص ١١٩.

(٢١٩) كريزويل: الآثار، ص ١٢١.

(٢٢٠) كريزويل: الآثار، ص ١٢١.

(٢٢١) كريزويل: الآثار، ص ١٢١.

(٢٢٢) كريزويل: الآثار، ص ١٢٢.

(٢٢٣) كريزويل: الآثار، ص ١٢٢.

(٢٢٤) اعتمد كريزويل على لوحات ميليخ.

كريزويل: الآثار، ص ١٢٣.

(٢٢٥) كريزويل: الآثار، ص ١٢٤، د. زكى حسن: فنون، ص ص ٤٥-٤٦.

(٢٢٦) د. زكى حسن: فنون، ص ص ٤٦-٤٧.

(٢٢٧) كريزويل: الآثار، ص ١٢٦.

(٢٢٨) كريزويل: الآثار، ص ١٢٧.

(٢٢٩) د. كمال الدين سامح: العمارة، ص ٤٠.

(٢٣٠) ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص ص ٧١-٩٤.

(٢٣١) لد: بالضم، والتشديد، قرية قرب بيت المقدس من نواحى فلسطين.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٥، ص ١٥.

(٢٣٢) البلاذرى: فتوح، ص ١٤٥.

(٢٣٣) البلاذرى: فتوح، ص ١٤٥.

(٢٣٤) البلاذرى: فتوح، ص ١٤٥.

(٢٣٥) الاصطخرى: المسالك، ص ٤٣، السيوطى: اتحاف الأخصا، ق٢، ص ١٨١.

(٢٣٦) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ص ١٦٤-١٦٥.

(٢٣٧) كريزويل: الآثار، ص ص ١٥١-١٥٢، محمد كامل فارس: الجامع الأموي الكبير بحلب تاريخه ومعالمه الأثرية، دار القلم العربى بحلب، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص ص ١٥-١٦.

ومما ذكر فى عمارة هذا المسجد أن الوليد بن عبد الملك هو الذى شيده.

محمد كامل: الجامع الأموى، ص ١٥.

(٢٣٨) محمد كامل: الجامع الأموى، ص ص ١٧-١٨.

(٢٣٩) محمد كامل: الجامع الأموى، ص ص ١٩-٢٨.

(٢٤٠) ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص ٨٧.

(٢٤١) ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص ٩٢.

(٢٤٢) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ص ص ١١٩-١٢٠.

(٢٤٣) الطبرى: تاريخ الطبرى، مج٤، ص ٥٩.

(٢٤٤) ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص ٩٦.

(٢٤٥) ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص ص٩٨-٩٩.

(٢٤٦) ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص ١٠٧.

(٢٤٧) ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص ص ١٠٨-١٠٩.

(٢٤٨) البلاذرى: فتوح، ص ١٦٦.

(٢٤٩) الطبرى: تاريخ الطبرى، مج٤، ص ٧٥.

(٢٥٠) د. أحمد فكرى: المدخل، ص ٢٢١.

(٢٥١) Creswell: Ashort Account, pp. 131-134. ، د. عفيف بهنسى: الشام، ص ١٥٣.

(٢٥٢) ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص ١٦٥.

(٢٥٣) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص ٢٢١.

أنظر أيضًا: أبو الفدا: التبر المسبوك فى تواريخ الملوك، تحقيق د. محمد زينهم محمد عزب، الثقافة الدينية، القاهرة، ص ٤٠.

(٢٥٤) ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص ٢٨٣.

(٢٥٥) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٣، ص ص ٤٧-٤٨.

(٢٥٦) كريزويل: الآثار، ص ١٦٣، د. السيد عبد العزيز سالم: دراسات فى تاريخ العرب (تاريخ الدولة العربية (٢) مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٣م، ص ٤٣٥.

(٢٥٧) كريزويل: الآثار، ص ١٦٧.

(٢٥٨) كريزويل: الآثار، ص ١٥٦.

(٢٥٩) كريزويل: الآثار، ص ١٥٧.

(٢٦٠) كريزويل: الآثار، ص ص ١٥٧-١٥٨.

(٢٦١) كريزويل: الآثار، ص ١٦٧.

(٢٦٢) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٣، ص ص ٤٧-٤٨.

(٢٦٣) Creswell: Ashort Account, pp. 135-137.

د. السيد عبد العزيز سالم: دراسات، ص ص ٤٣٥-٤٣٦.

(٢٦٤) Creswell: Ashort Account, pp.169-173.

(٢٦٥) البلاذرى: فتوح، ص ١٦٧.

(٢٦٦) البلاذرى: فتوح، ص ١٦٧.

(٢٦٧) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٤، ص ٣٧٣.

(٢٦٨) البلاذرى: فتوح، ص ١٦٧.

(٢٦٩) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج١، ص ص ٥١٠-٥١١.

(٢٧٠) كريزويل: الآثار، ص ١٤١، د. زكى محمد حسن: فنون، ص ص ٤٧-٤٨، د. كمال الدين سامح: العمارة، ص ٤٠.

(٢٧١) يذكر كريزويل أن الحمام يتألف من عنصرين رئيسيين: غرفة استقبال مستطيلة يبلغ طولها ٨,٩٥م، وعرضها ٧,٩٠م، وهى ذات ايوان يقابل استراحة العرش فى قصير عمرة، يفتح على الجانب الجنوبى الشرقى، وقد أوجد المعمار على جانبيه غرفتين، والقسم الثانى يتمثل فى الحمام.

كريزويل: الآثار، ص ١٣٩.

(٢٧٢) كريزويل: الآثار، ص ١٤١.

(٢٧٣) كريزويل: الآثار، ص ١٤١، د. زكى محمد حسن: فنون، ص ٤٧، د. كمال الدين سامح: العمارة، ص ٤٠.

(٢٧٤) ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص ٣٠٢.

(٢٧٥) ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص ٣٣٨.

(٢٧٦) Creswell: Ashort Account, pp. 173-176.

(٢٧٧) Creswell: Ashort Account, pp. 174-176.

(٢٧٨) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص ص ٢٢١-٢٢٢.

(٢٧٩) ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص ٣٠٦.

(٢٨٠) Creswell: Ashort Account, pp.179-199.

(٢٨١) Creswell: Ashort Account, pp.199-200.

(٢٨٢) د. السيد عبد العزيز سالم: دراسات، ص ٤٣٥.

(٢٨٣) تناول كريزويل تاريخ قصر المشتى وقصر الطوبة، حيث يوجد تشابه بين القصرين فى أوجه كثيرة، وبالتالى فإنهما فى اعتقاده يعودان إلى تاريخ واحد، وقد أورد كريزويل نظرية النسب اللخمى وقال إنها أكثر النظريات المقترحة خيالية، كما تناول نظرية الغساسنة وقال إنها تبدو أصح من نظرية اللخميين، حيث إن الغساسنة استولوا بالفعل على الحدود الشرقية فى سورية

من نهر الفرات حتى الأردن بدءا من عام ٥٠٠ على الأقل ولكن هناك ثلاثة اعتراضات تتمثل فى الغياب الكلى للرموز المسيحية، ثم عدم توافر الموارد الهائلة اللازمة لهذه العمارة الضخمة، ويتمثل العامل الثالث فى إضفاء الطابع الفارسى وطابع بلاد ما بين النهرين على هذه المبانى رغم وقوع عرب سورية تحت الحماية البيزنطية، وينتهى كريزويل إلى الرد على الاعتراضات ضد النظرية الأموية واعتقاده أن المشتى وقصر الطوبة لأسباب تاريخية ومعمارية يرجعان إلى العصر الأموى، وعلى الأرجح إلى عصر الوليد الثانى فى عام ٧٤٣-٧٤٤م، وتركها دون إتمامها عند موته.

مزيد من التفاصيل انظر:

كريزويل: الآثار، ص ص ١٨٨-١٩٦، د. زكى محمد حسن: فنون، ص ٥٢، د. فريد شافعى: العمارة، ص ١٨٦، د. كمال الدين سامح: العمارة، ص ٤٣.

(٢٨٤) د. زكى محمد حسن: فنون، ص ص ٤٩-٥٠، د. كمال الدين سامح: العمارة ص ص ٤٣-٤٦.

(٢٨٥) د. زكى محمد حسن: فنون، ص ص ٥٠-٥١.

(٢٨٦) د. زكى محمد حسن: فنون، ص ص ٤٨-٤٩.

(٢٨٧) كريزويل: الآثار، ص ١٧٤.

(٢٨٨) كريزويل: الآثار، ص ١٧٤.

(٢٨٩) د. زكى حسن: فنون، ص ٥٠.

(٢٩٠) كريزويل: الآثار، ص ١٨٤، د. زكى محمد حسن: فنون، ص ٥٣. ـ د. كمال الدين سامح: العمارة، ص ص ٤٧-٤٨.

(٢٩١) د. فريد شافعى: العمارة العربية، ص ص ١٨٦-١٨٧.

(٢٩٢) ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص ٣٠٨، د. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ١، ص ٢٧٣.

جاء فى الأنباء أن إبراهيم بن الوليد يعرف بإبراهيم الناقص. انظر: ابن العمرانى (محمد بن على بن محمد) ت ٥٨٠هـ: الأنباء فى تاريخ الخلفاء، تحقيق د. قاسم السامرائى، دار الآفاق العربية، القاهرة.، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص ٥٢.

(٢٩٣) ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص ص ٣٢١-٣٢٣.، د. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ١، ص ٢٧٣.

(٢٩٤) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص ٢٨٠.

(٢٩٥) ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص ١٨.

(٢٩٦) ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص ٣٣٣.

(٢٩٧) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ص ٢٣٥.

(٢٩٨) البلاذرى: فتوح، ص ص ١٨٨-١٨٩.

(٢٩٩) ياقوت الحموى: معجم، مج٥، ص ١٠٧.

(٣٠٠) البلاذرى: فتوح، ص ١٩٢.

(٣٠١) كريزويل: الآثار، ص ص ١٤٩-١٥٠، د. أحمد فكرى: المدخل، ص ٢٢٠.

(٣٠٢) د. أحمد فكرى: المدخل، ص ٢٢٠.

(٣٠٣) د. أحمد فكرى: المدخل، ص ٢٢٠.

(٣٠٤) ياقوت الحموى: معجم، مج ٤، ص ٣٥٥.

(٣٠٥) ياقوت الحموى: معجم، مج ٤، ص ٣٥٧.